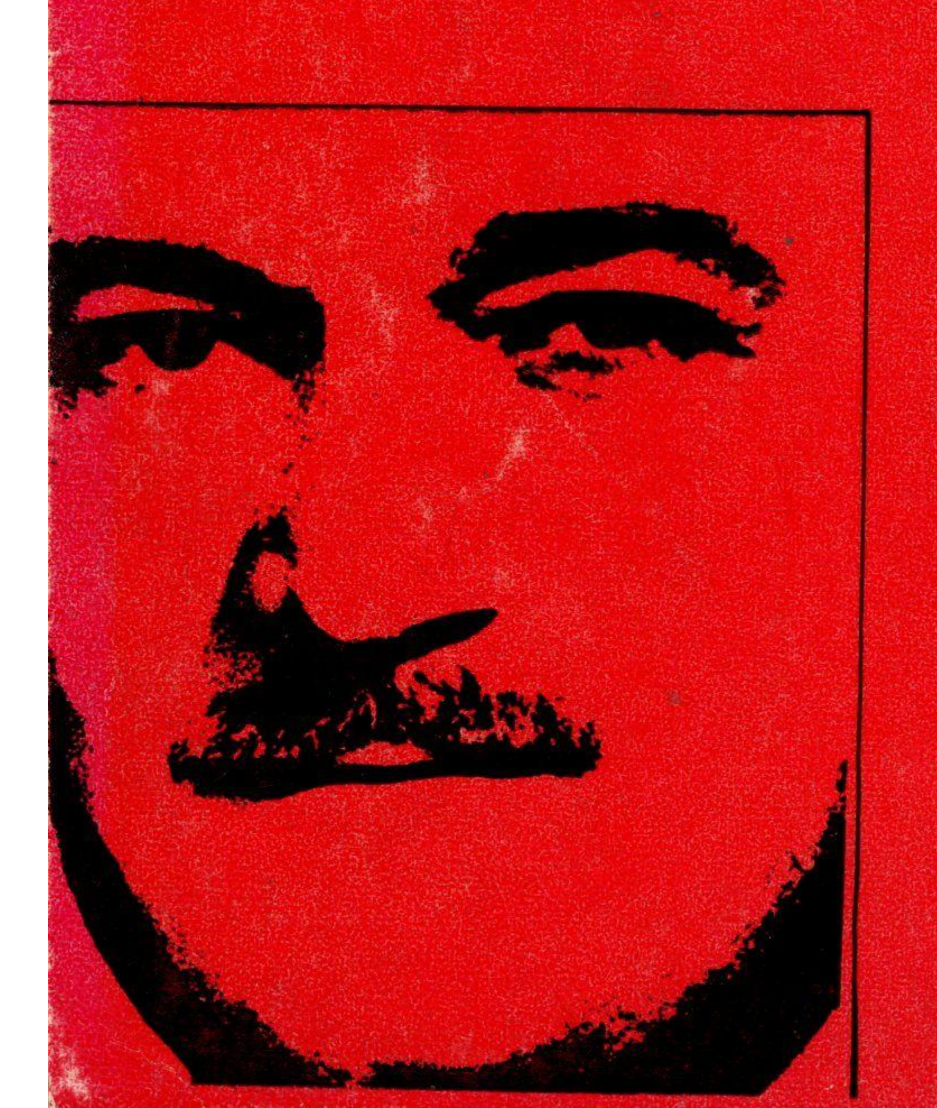
حركة القوميّين العربْ



باسل الكبيسي

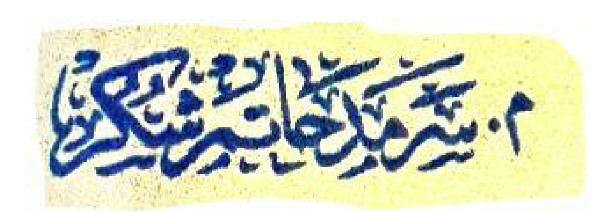


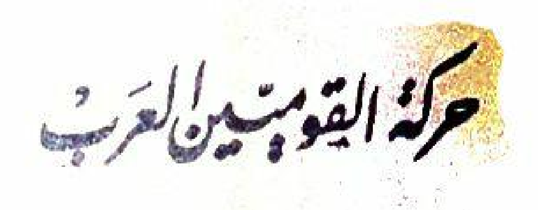


دار الطليعة - بيروت

اشتريته من شارع المتنبي ببغداد
في 20 / جمادى الآخرة/ 1444 هـ
في 13 / 01 / 2023 م

سرمد حاتم شكر السامرائي





باسل الكبيسي

حركة القوميين العرب

منشورات الاتحاد رقم ١٢
الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين

تشرين الثاني ١٩٧٤

مقدمة

قبل أن يستشهد محمد يوسف النجار وكمال ناصر وكمال عدوان بأيام في بيروت ، سقط باسل الكبيسي شهيدا في باريس ، والقتلة هم القتلة اياهم أعداء الشعب الفلسطيني والامة العربية · وباسل عندما مضى شهيدا مضى في غمرة احداث كبرى تمر بها الامة العربية ، ولذلك لم ينل ما يستحقه من اهتمام شأنه شأن معظم شهدائنا ·

واليوم اذ نقدم كتاب باسل : «حركة القوميين العرب» ، فاننا لا نقدم المرجع الاول عن حركة ساهمت في تطور تاريخنا العربي الحديث فحسب ، بل نقدم أيضا باسل الكبيسي في جانب آخر من نشاطاته ، وهو ، جانب النشاط الثقافي ·

والاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين يعتز بأن يقدم باسل الكبيسي، المناضل العربي الذي أنبتته أرض الرافدين، والذي ناضل من أجل تحرر الامة العربية ووحدتها وتقدمها ، ومن أجل تحرير فلسطين ، واستشهد من أجل ذلك كله ·

ونأمل أن نستطيع في المستقبل اعطاء هذا المناضل ما يستحقه من اهتمام ·

ناجي علوش

الأمين العام لاتحاد الكتاب
والصحفيين الفلسطينيين

الفارس الذي
لم يترجّل

الاذاعة ووكالات الانباء في ٦ -٤-١٩٧٣ :
« اطلق مجهولان اليوم النار في احد شوارع باريس على استاذ عراقي هو الدكتور باسل الكبيسي فارداياه قتيلا . ويعتقد ان للحادث دوافع سياسية » .

وعرفت كيف يكون عليه طعم الموت في الربيع . كيف يطحن الـم الوعي بموت الاعزاء خلايا الدماغ وهي تدرك ، مع نعيق بومة معششة في وكالة انباء او مذياع ، ان من دوما شعت عيناه بحب لا متناه للحياة قد قضى بعد ان مزقت جسده تسع رصاصات اطلقت عليه .. فـي الظلام .. ومن الخلف !

وينتصب السؤال ، بعد مضي عام كامل ، عملاقا مقهقها : ايهما اكثر مرارة .. الموت .. أم طعمه في حلق الصديق ؟

والى ان نلتقي رصاصة الرحمة ، او تلتقينا ، سنبقى نتساءل :
لماذا الحديث .. بالذات .. عن طعم الموت في الربيع ؟
اله نكهة مختلفة عن مذاقه عندما جاء متسربلا في ثياب لص مـن السل فنهش صدر طفل نازح ؟

ام لانه يثير التقزز اكثر من وفادته علـى شكـل صاروخ اسقطته طائرة اسرائيلية (ام عربية ، لا فرق) فهبـط .. فجأة .. علـى راس امراة وهي تسير في مخيم للنازحين ؟

ام تراه اقل عذوبة من الموت الذي اتى .. متبرجا .. يعتمر عمامة خضراء .. او يرتدي بلوزة سوداء .. او يتوشح راية حمراء ؟
ولماذا ؟ ولماذا ؟ لماذا ؟
لماذا طالما ان الموت واحد وان تعددت الاسباب ..

ولماذا طالما ان قيمة الشهيد ، في كل زمان ومكان ، واحدة ..
.. لماذا الحديث .. بالذات .. عن باسل ؟

لسببين :
.. نقطة ضعف تتعلق بي :
كونه ، حيا وشهيدا ، اعز الاصدقاء .
.. ونقطة قوة تتعلق به :
كونه واحدا من اولئـك الفرسان .. النادرين .. الذيـن امتطوا الجواد .. وثبتوا عليه .. ولم يترجلوا .

كان على جواد العمل الوطني الذي امتطى باسل صهوته ان يقفز فوق حواجز اضافية زادت من الاعباء التي تثقل عادة اكتاف العاملين في الحقل الوطني . ولعل احد اكثر هذه الحواجز ارتفاعا وصعوبة ذلك الممتدة جذوره ، بعيدا ، في اعماق اصول المنشأ الاجتماعي ــ الاقتصادي المنحدر منه باسل :

فمحمد سعيد ، عميد آل الكبيسي ، واولاده السبعة (باستثناء خامسهم رؤوف) شكلوا القاعدة الصلبة التي استند اليهـا البنـاء الاجتماعي ــ الاقتصادي لقرية « كبيسة » * في الثلث الاخير من القـرن التاسع عشر . وهم بانتمائهم لقبيلة « بو حيدر » (علاوة علـى كونهـم اخوال قبيلة « البودريع ») ضمنوا لانفسهم مركز الصدارة الاجتماعية في القرية . ومن الصدارة الاجتماعية الـى الصدارة الاقتصادية ، او بالعكس ، تربع جد باسل واعمامه ، وهم الممسكون الرئيسيون بخيوط النشاط التجاري ، على قمة الهرم الاقتصادي ــ الاجتماعي في المنطقة.

ومن ناحية ثانية ، كان عميد آل الكبيسي وابناؤه حافظين امنـاء لتراث القبلية . ويبدو ان دورة النشاط الاقتصادي التجاري ، التـي كانت « كبيسة » احدى حلقاتها البارزة ، نجحت في عزل المثالب القبلية من عدم استقرار وعوز مادي وغزو ، تماما مثلما استطاعت تدعيم مناقبها من فروسية وشجاعة واستجارة واستخارة بالاضافة الـى ديمقراطية « الدواوين » وكرمها ** .

---

* وتقع في الشمال الغربي من مدينة بغداد في لواء الرمادي .

** وفي هذا المجال لا زال فتح المطعم او المخبز او الفندق علـى راس قائمـة « المحرمات » في تقاليد قرية « كبيسة » لما في ذلك من « حرمان » لاهل القرية مـن استضافة الوافدين ــ الزائرين لها .

وفي هذا كله ورود الى احد ينابيع المؤثرات التي ، طوعا او كرها، سلبا او ايجابا ، شعوريا او لا شعوريا ، شرب منها باسل .

اما الينبوع الرئيسي الثاني الذي نهل باسل من تأثيراته فهو والده رؤوف الكبيسي الذي كان اول الجسور المتينة الثابتة التي وصلت ما بين فرع العائلة القبلي ـ التجاري وفرعها الحضري ـ الوظائفي . ففي بغداد ولد رؤوف في العام ١٨٨٦ وانضم ، متأثرا بروح احداث ١٩٠٨، الى « جماعة العربية الفتاة » . ثم عمل ، بعد ان تخرج من الكلية الحربية في اسطنبول في العام ١٩١١ ، ضابطا في «جندرمة بغداد»*. وبعدما حارب القوات البريطانية الغازية في العام ١٩١٧ ، التجأ الى سورية والتحق بالحكومة العربية الى جانب الملك فيصل واصبح قائدا لدرك حلب . وعندما عاد مع الملك الوافد الى العراق في العام ١٩٢١، ارتقى السلم الاداري حتى عين محافظا لمدينة « البصرة » . واثر هجومه على بريطانيا واتهامها علنا ** بمعاملة العراق « كبقرة حلوب » ، اعيد الى بغداد حيث عين ، بعد فترة ، مديرا عاما لسجونها . وكان رؤوف، من ناحية الانتماء السياسي ، احد ابرز انصار ياسين الهاشمي ـ « بسمارك العرب » والقطب الرافض لاية معاهدة من شأنها ربط العراق بالدول الاجنبية . ضمن اطار هذه الخلفية من التأثيرات ، ولد باسل رؤوف الكبيسي في شباط (فبراير) ١٩٣٣ فجاء ترتيبه الاصغر بعد ثلاث شقيقات وشقيقين . وكان اول ما تفتح عليه وعي باسل ، بحبوحة عيش واضحة والتزام وطني اوضح ووالد شرقي اميل الى الصرامة منه الى الليونة ووالدة تعوض من الحنان ما قد ينقص . . وتفيض. ومن يعرف الاحياء من افراد عائلة رؤوف الكبيسي ، يلاحظ المزيج الخاص من « التقاليد » المحافظة ـ المحدثة ، البورجوازية ـ المتواضعة، العريقة ـ الشعبية التي تؤطر سلوك العائلة ومسلكيتها .

وفي هذا كله ورود لينبوع كان من المؤثرات التي كان باسل اقرب اليها واشد التصاقا بها واكثر عرضة لتأثيرها .

اما الينبوع الرئيسي الثالث الذي شرب منه باسل ، حتى الثمالة، وارتوى ، بل وسبح فيه حتى تعبت الحياة ذاتها من حيويته فتخلت عنه ، فهو ينبوع المناخ السياسي الخاص الذي تنفسه :

---

* تزوج رؤوف من نظمية صبري . وهي من عائلة بغدادية عريقة . في العام ١٩١٢.

** كان ذلك في حفل افتتاح ميناء البصرة (١٩٢٩) بحضور الملك فيصل الاول والكولونيل وارد . مدير الموانىء البريطاني .

فمن جهة ، بدأ باسل رحلة الاربعين عاما التي عاشها من نقطة تقع تقريبا عند منتصف المسافة الزمنية بين حدثين بارزين في تاريخ العراق المعاصر – انضمام المملكة العراقية الى « عصبة الامم » في ٣ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٣٢ ، ووفاة مؤسسها الملك فيصل الاول في ٨ ايلول (سبتمبر) ١٩٣٣ واعتلاء الملك غازي سدة العرش . واذا كان الحدث الاول قد ثبت صورة العراق دوليا ، فان الحدث الثاني قطع خيوط الوفاق بين الريف والمدينة وعكر صفاء « الميزان المتوازن » الذي حكم علاقات اقطاب السياسيين التقليديين طوال فترة طويلة .

ومن جهة ثانية ، ترافق بدء باسل لدراسته في المرحلة الابتدائية (في « المدرسة المأمونية » الحكومية عام ١٩٣٩ – ١٩٤٠) مع مقتل الملك غازي في نيسان – ابريل ١٩٣٩ ومع اندلاع نار الحرب الكونية الثانية في ايلول – سبتمبر من العام ذاته . كما بلغت موجة المد القومي العربي انذاك احدى اعلى قممها . وكان كل هذا ضمن اطار هيمنة الجيش على مجريات السياسة في البلاد بعد ان بدأ مسلسل الانقلابات العسكرية منذ تشرين الاول – اكتوبر ١٩٣٦ وما اعقبه من وفاة ياسين الهاشمي واغتيال جعفر العسكري وتمحور الصراع حول اتجاهين متصادمين : التيار المعادي للاستعمارين البريطاني والافرنسي من جهة والتيار الداعي الى التعاون مع الانكليز من جهة ثانية .

في « المدرسة المأمونية » تلك ، ومنذ سنته الابتدائية الاولى ، ارتدي باسل ، ضمن « نظام الفتوة » الثوب الخاكي وانشد ، قبل ان يتقن فك الاحرف ، اناشيد : « نحن الشباب » ، و «موطني يا موطني» . و « هيا فتوة للجهاد » . وفي احدى الصور الفريدة ، يظهر باسل وقد اشترك في اول مظاهرة له ، وهو في الصف الثاني الابتدائي ، اثناء حركة الكيلاني في العام ١٩٤١ .

وفي سنوات دراسة باسل الابتدائية ، كانت الخارطة السياسية في البلاد ترسم من جديد تحت وطأة التمخضات التي عاشتها الحركة الوطنية . ففي تلك الفترة صعدت الطبقة المتوسطة الى مسرح الاحداث – متاخرة – بعد ان افاقت من تنويم مقصود سببته ابرة تخدير قديمة كانت سلطة الانتداب البريطاني قد غرزتها ، على شكل اجراءات اقتصادية ، في جسد الشعب العراقي . وهكذا ظهرت « القوة الجديدة » بشقيها القومي والشيوعي واجبرت الامير عبد الاله ، « الوصي على العرش » ، على الاعتراف بها والانحناء امام عاصفتها في العام ١٩٤٥ . في ذلك العام بالذات ، دوخت باسل دوامة الوضع الطبقي الذي

وجد نفسه فيه فخاض احدى معاركه المبكرة مع القوى السلبية الفاعلة في ذلك الوضع .. وكانت ساح القتال على ارض مصر .

اذ بعد ان انهى باسل مرحلة الدراسة الابتدائية ابعدته بحبوحة العيش ، في العام ١٩٤٥ - ١٩٤٦ ، الى « كلية فيكتوريا » في الاسكندرية لمتابعة دراسته . وفي « الغربة » ، في السن المبكرة تلك ، بدات صراعات باسل مع باسل .. وكان لا بد من ايجاد اجوبة لاسئلة كثيرة حائرة ومحيرة :

ايسمح لرياح موقعه الطبقي ان تقود سفينة تحصيله العلمي الى شاطيء المؤسسات الاكاديمية الخاصة بابناء النخبة وعلية القوم ؟ ايسلم صفحة دماغه البيضاء لتلك المؤسسات كي تمسح عنها ما حفرته التأثيرات الوطنية في عائلته وتنقش عليها وشما من الثقافة الاستعمارية الغربية يلازمه الى الابد ويغدو معه « اجنبيا » وسط افراد عائلته وعشيرته وفي وطنه ؟ ثم والمسألة - كما شرحها باسل نفسه في جلسة حميمة - مسألة شعور وليست مسألة قرار فحسب . اذ كيف يستطيع ان يتجاهل حالة الاحتقان التي بدا يعاني منها ولا يهرب من خطر الاختناق الداهم الذي كان يراه مندفعا - وبسرعة بالغة - باتجاهه ؟ ولماذا يبقى اسير السرب « النخبوي » والقفص « الفكتوري » اللذين « اعتقل » فيهما على يدي « شرطة » المترتبات الناجمة عن الموقع الطبقي الذي لم يختره هو ؟.

وكان قرار باسل - وهو في سن لم تكن تؤهله لاتخاذ قرارات - حاسما بوضوحه : لا للعودة الى « كلية فكتوريا » ونعم للمدارس الحكومية ...

وهكذا قطع باسل بعض خيوط شبكة « العنكبوت الطبقي » المنسوجة حوله .. ومضى ، معتليا صهوة « مهر » عمله الوطني ، سائرا في الاتجاه الصحيح .

باشر باسل دراسته في « كلية بغداد » في مناخ انفراج اشاعته حكومة توفيق السويدي (١٩٤٦) تحت ضغط « القوة الجديدة الصاعدة » . وقد كان قرار الحكومة في السماح بتشكيل الاحزاب بمثابة نزع سدادة « قمقم » العمل السياسي الشعبي واطلاق سراح « مارد » الطبقات الشعبية بصدارة الطبقة المتوسطة المسيسة . اما فظاظة حكومة ارشد العمري (التي جاءت في حزيران - يونيو ١٩٤٦) فلم تفشل في كسر « زنبرك » العمل السياسي الشعبي فحسب ، بل تورطت في ضغط ذلك « الزنبرك » - مضيفة الى زخمه زخما جديدا - ساعده ، لاحقا ، في الارتداد على السلطة الحاكمة بقوة اشد .

ومنذ نهاية العام ١٩٤٦ ، غدا باسل يتيما . فقد وافت المنية رؤوف الكبيسي في الثامن من كانون الاول (ديسمبر) ولم يكد يطرق باب الستين عاما . ومع ذلك لم يخلف الوالد الراحل وراءه طفلا . فباسل اليافع ، ابن الاربعة عشر ربيعا ، كان قد تخطى مرحلة « الطفل الجاد » (الجاد لدرجة انه لا يذكر — كما ان كل من عرفوه انذاك لا يذكرون — مروره « بفترة طفولة » واضحة المعالم) الى مرحلة الشباب الرزين الذي لفتت رصانته المبكرة الانظار اليه واثارت الفضول من حوله وكانت محط تندره هو وتفكه مريديه الاقربين في وقت لاحق . كما اصبح واضحا ان شخصية باسل الاخذة بالتشكل النهائي كانت قد مالت بشكل حاسم ، بعد ان نجح في القفز من فوق مرحلة المراهقة ، نحو التأدب الشديد والحياء المرهف والتحلي ، اولا وقبل كل ميزة اخرى ، بأخلاق « الفارس العصري » من شجاعة وكرم وشهامة . واما عيوبه البارزة فكانت في حدية هذه الصفات عنده وفي عبوره ، احيانا، ذلك الخط الرفيع الذي تتحول وراءه هذه المناقب ، من شدة الافراط فيها ، الى مثالب . هذا على الصعيد الخاص .

اما على الصعيد العام ، فقد كاد العراقيون ان ينسوا ، في الفترة ما بين ١٩٤٦ — ١٩٤٨ ، معنى عبارة « الاستقرار السياسي » . فمع غياب الهدوء من قاموس الحياة اليومية ،اشتدت قوة حضور الاضرابات والمظاهرات وبخاصة في الكليات والمدارس . وكان طبيعيا ومتوقعا انلا يفوت باسلا ، الطالب في « الثانوية المركزية » ذا الحماس المتفجر ، اي من هذه النشاطات . وفي « الوثبة » (الانتفاضة الشعبية ضد اتفاقية بورتسموث ، في كانون الثاني — يناير ١٩٤٨) اضطر باسل لان يبتعد ، مددا وجيزة ، عن صخب الشارع الى سكون المستشفى حيث كان الاطباء ينتزعون من جسد شقيقه (ياسين) رصاصة من رصاصات السلطة التي مزقت كبده وكادت ان تجفف ماء الحياة فيه .

واثناء ورود باسل المستمر الى ينبوع العمل السياسي العام ، استطاب مذاق ماء احد روافده بشكل خاص .. فبدأت رحلة التزامه التنظيمي .

ففي ظل الاجواء السياسية المتقلبة التي تلبدت بها سماء العراق في نهاية الاربعينات ، انهى باسل دراسته الثانوية وغادر الى الجامعة في لندن . وبعد عام من التمزق الداخلي ، تقاذفته فيه تيارات متناقضة، وبعثت في ذهنه ذكريات معاناته الخاصة في « كلية فكتوريا » ؛ عاد الى الوطن والتحق ، في العام ١٩٥١ — ١٩٥٢ ، بدائرة العلوم السياسية

في الجامعة الاميركية في بيروت . وكانت تلك الخطوة منعطفا حاسما اتخذت حياة باسل بعده مجراها الجديد :

ففي الجامعة الاميركية ، حيث ازدهرت التجمعات والاحزاب القومية في اعقاب سقوط فلسطين في العام ١٩٤٨ ، التقى باسل مع جورج حبش واصبح ضمن اوائل المنتظمين معه . وبالعمل الدؤوب والانضباط الدقيق ــ المعروفين عن باسل ــ اصبح مثالا للملتزم الذي يحتذى .. كما ولمع نجمه ، كقائد طلابي ، بسرعة بالغة .

كانت الازمة الداخلية في العراق ، في هذه الاثناء ، تتفاقم نتيجة لازدياد استفراد « الوصي على العرش » بمقدرات السلطة . وسرعان ما بلغ تدهور الاوضاع نقطة الانفجار فكانت « انتفاضة ١٩٥٢ » وما رافقها من دعوة السلطة للجيش لادارة دفة البلاد. وبالفعل شكل رئيس الاركان العراقي ، في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٢ ، حكومة تمكنت من اعادة الامساك بمقاليد الامور لصالح الفئة الحاكمة بعد ان كادت تفلت نهائيا من يدها اثناء الانتفاضة . وبذلك اتيح « للغزل » البريطاني العراقي ، القائم على قدم وساق ، ان يستمر تمهيدا « لزواجهما » المرتقب وفقا « لعقد » معاهدة للدفاع المشترك التي كانت قيد الاعداد انذاك .

وضمن موجة المظاهرات الصاخبة التي عمت عددا من البلدان العربية قطعا للطريق على عودة الاستعمار البريطاني « من النافذة بعد ان خرج من الباب » . اشترك باسل في قيادة المظاهرات العنيفة التي ملأت شوارع بيروت . وقد كانت حصيلة « مكاسبه » الشخصية من تلك الاحداث وافية : جرح في رأسه ، واعتقال في « سجن الرمل » في بيروت . وانذار بالطرد الفوري من الجامعة اذا ما تكرر «سوء سلوكه». وقد تبلور الانذار ، اثناء عطلة الصيف ، فطرد باسل وطالبان آخران ، قبل ان تتاح له فرصة الحصول على شهادة جامعية * .

وبالرغم من « الحصار الاكاديمي » الذي فرض عليه من قبل عدد من مؤسسات التعليم في الولايات المتحدة بسبب « تاريخه السياسي »، نجح باسل في الالتحاق بجامعة «ادامز ستيت كولدج اوف كولورادو»، حيث تخرج منها في نهاية ايار (مايو) ١٩٥٦ وتعين في وزارة الخارجية العراقية في تشرين الثاني (نوفمبر) من العام ذاته .

وفي الفترة ما بين قرار الطرد من الجامعة والعودة الى بغداد ،

---

* ومما هو جدير بالذكر ان مجموعة باسل هذه كانت اول مجموعة من الطلاب تطرد منذ تاسيس الجامعة .

جوبه باسل بالدوامة القديمة الجديدة : ضرورة المفاضلة ، من جديد وبقرار حاسم ، بين ان « يستمع » ـ خاصة وانه لم يزل في ربيع عمره ومقتبل صباه ـ بما يمكن ان توفره له اوضاعه الطبقية من حياة مخملية (وشرط ذلك الاوحد ان يدوس على ضميره ومثاليته فيؤثر الخاص على العام) او ان يدير ظهره ـ على صعوبة ذلك ـ لشلال من الاغراءات المادية والمعنوية التي كانت رهن اشارته . ولم يكن القرار ـ المطلوب من باسل اتخاذه ـ قرارا سهلا .

اذ عندما يقوم الكادح باختيار طريق الثورة ـ اساسا تحت تأثير العسف الاقتصادي والسياسي ـ فانه « ليس لديه ما يخسره غير قيوده » . اما عندما يختار ابن الطبقة البورجوازية الطريق ذاته ـ اساسا تحت تأثير الاحاسيس الانسانية والاندفاع المثالي ـ فان لديه الكثير ليخسره . ولان استبدال وسادة الحرير بوسادة من الصخر ليس بالامر السهل ، لم يكن القرار ـ المطلوب من باسل اتخاذه ـ قرارا سهلا .

كذلك فان الصعود من طبقة الى طبقة ، والكثير منا ـ هذه الايام ـ يعرف ذلك . ليس بالمسألة الصعبة . فعندما يفتح الاستعمار ـ القديم والحديث على حد سواء ـ خزائنه ، بشكل مباشر او غير مباشر، يصعب على الكثيرين (« والانسان ، اولا وقبل كل شيء ، انسان » ـ كما يقولون) « مقاومة » اغراءات الصمود . كما أن مسألة الصعود تبدو اكثر سهولة عندما لا يصبح التعامل مع العدو ضد الوطن « ثمنا » لها . « فالمصاعد ـ ذات الاتجاه الواحد ، من اسفل الى اعلى وفقط من اسفل الى اعلى ـ كثيرة . فمن « مصعد » الانتهاز الى « مصعد » مسح الجوخ والتزلف الى « مصعد » لحس المواقف والارتداد عنها . . القائمة طويلة. اما النزول من طبقة الى طبقة فمسألة مختلفة . مسألة فيها ، وبالمعنى الحرفي ، لون من التعجيز وألوان من الاعجاز . لذلك لم يكن القرار ـ المطلوب من باسل اتخاذه ـ قرارا سهلا .

ولكن فيض المثالية الانسانية والالتزام بالقضية الوطنية العامة عند باسل كان كافيا لجعل الصعب سهلا . . فكان قراره بالعودة الى العراق من اجل الاسهام في تأسيس فرع سري للقوميين العرب (« حركة القوميين العرب » ـ لاحقا) . . وبهذا قطع باسل ، للمرة الثانية، خيوطا جديدة من شبكة « العنكبوت الطبقي » المنسوجة حوله . . واندفع ممتطيا صهوة جواد العمل الوطني . . فارسا عصريا مقاتلا بسيف التنظيم الملتزم . . وساعيا من اجل « الوحدة ، والتحرر ، والثأر » .

ومنذ اللحظة الاولى التي بدأ فيها باسل رحلة تشكيل التنظيم الجديد ، لازمته صفتان بارزتان : السرية الشديدة والنشاط الدؤوب.

وفي حين اقتضت الصفة الاولى تصديه شخصيا لتأدية بعض المهمات الخطرة للغاية ، استوجبت الصفة الثانية الغاء تاما لاية « حياة خاصة » بـه .

وعندما قامت الوحدة بين مصر وسورية في العام ١٩٥٨ ، تمحور الصراع العربي بشكل حاد فاصبحت الجمهورية العربية المتحدة قطبا في النزاع في حين شكل العراق والاردن قطبه الثاني . واثناء زيارة « الوفد الاردني » للعراق بهدف اقامة دولة وحدة مضادة ، تحطمت سيارة باسل (يوم الثامن عشر من اذار ــ مارس ١٩٥٨) وهي في باحة « قصر الزهور » بمتفجرات كانت معدة « لترافق » الوفدين الاردني والعراقي في طائرتهما المسافرة الى عمان في اليوم ذاته * .

اتجهت الانظار ، خاصة انظار نوري السعيد ، بشك وريبة الى باسل الذي تظاهر ، برباطة جاش خيالية طالما ظهرت في اللحظات الحرجة ، بأن لا علم له بالمتفجرات وانه نفسه ــ « كما يبدو » ــ كان مستهدفا بها . وكي يزيل كل شك من ذهن المحققين معه وكي يضلل « كلاب الاثر البشرية » التي اطلقت وراءه ولازمته كظله ، موه باسل تحركاته ، بمساعدة أحد اعز اصدقائه ، بالتصرف وكأنه من الرواد الدائمين للبارات وما شابهها . وكانت تلك هي المرة الاولى التي «عرف» فيها باسل ذلك النمط من « حياة الشباب » . على ان ثورة الرابع من تموز (يوليو) ١٩٥٨ ، قصرت من عمر « اجازة » باسل الاضطرارية ، وبدأ عهد جديد .

وما ان شرعت الثورة تأكل ابناءها واشتد الصراع بين عبد الكريم قاسم ومؤيديه من جهة والتيار القومي من جهة ثانية ، حتى اعتقل باسل ضمن حملة الاعتقالات التي شملت مختلف العناصر القومية في طول العراق وعرضه . وفي وقت لاحق ، اقترن الحكم على باسل «بالسجن لمدة عام واحد » بقرار فصله من وزارة الخارجية منذ نهاية كانون الثاني ــ شباط ١٩٥٩ .

وقد كان السجن « صومعة » للاستذكار والمراجعة ومناسبة للاجابة على بعض الاسئلة المهمة ولاتخاذ قرارات جديدة . وكان السؤال الاهم : ماذا بعد السجن ؟

مجددا جاء الجواب قاطعا ومتناسبا مع مضاء سكين مثالية باسل

---

* كان باسل قد ادخل تلك المتفجرات بنفسه عندما عاد من رحلته الاخيرة لبيروت ودمشق كما نجح في ايصالها الى باحة القصر بحكم عمله في تشريفات الخارجية العراقية.

وقوة التزامه بالقضية العامة . وبالسكين ذاته قطع باسل مزيدا من خيوط شبكة « العنكبوت الطبقي » المنسوجة حوله . وقرر ، بجراة وتضحية ، ضرورة التوقف عن مزاولة اي عمل او وظيفة خاصة والتفرغ كليا للعمل القومي الثوري . وهكذا كان :

ففي الفترة ما بين اطلاق سراحه (في نيسان ــ ابريل ١٩٦٠) وسقوط نظام قاسم (في شباط ــ فبراير ١٩٦٣) نجح باسل ، ومعه عدد من الرفاق ، في الاستفادة من موجة المد القومي ــ الناصري التي غمرت العراق ، نجاحا فاق كل تصور سابق . ففي اقل من ثلاثة اعوام ، اصبحت « حركة القوميين العرب » ــ خاصة بامتداداتها العسكرية في الجيش * ــ واحدة من القوى الرئيسية في ساحة العمل الوطني وطرفا بارزا من اطراف جبهة « التجمع القومي » التي تم تشكيلها لمقاومة النظام والعمل على اسقاطه . وعندما باشر حزب البعث في محاولة القضاء على حكم قاسم يوم ٨ ــ ٢ ــ ١٩٦٣ لعب باسل دورا كبيرا في دفع باقي اطراف « التجمع القومي » للمشاركة ، خاصة بعد ان استمرت مقاومة قاسم ومؤيديه حتى مساء اليوم التالي . ولا يزال الكثير من البعثيين والقوميين يذكرون ذلك الدور التحريضي الهام الذي لعبه باسل واثره في الاسراع في حسم المعركة عند مبنى وزارة الدفاع في التاسع من شباط (فبراير) ١٩٦٣ ** .

بدأت ، في اعقاب سقوط نظام قاسم ، مرحلة العمل العلني بالنسبة للتيار القومي ومن ضمنه « حركة القوميين العرب » . وقد اصدرت الحركة ، انذاك ، صحيفة « الوحدة » وأوكلت مهمة رئاسة تحريرها لباسل .

واثناء قضائه فترة « شهر العسل » في القاهرة ، بعد ان وفق في الزواج من رفيقة قديمة ــ جديدة ، في نهاية ايار (مايو) اتهم باسل

---

* ويعود الفضل الاساسي في توسيع شبكة الامتدادات هذه الى باسل بالذات حيث نجح في الاستفادة من علاقات القربى والصداقة التي ربطته بعدد من الضباط القوميين .

** وفي هذا المجال ، تجدر الاشارة الى الاسى والحزن الشديدين اللذين كانا يعتريان باسل كلما مرت في خاطره ، في وقت لاحق صورة اقتتال فصائل الحركة الديمقراطية الوطنية (بجناحيها القومي والشيوعي) . ذلك الاقتتال الذي كان يصب الماء ، بالمحصلة ، في طاحونة الاعداء المشتركين انذاك والذين كانوا ، كباسل ورفاقه ، ضحية من ضحايا المرحلة ومفاهيمها .

بمحاولة قلب نظام الحكم الجديد *. وبالاضافة الى الحملة التي شنت عليه وعلى رفاقه ، في الاذاعة والصحف . اعلنت الحكومة العراقية وضع يدها على ممتلكات عائلة الكبيسي المنقولة وغير المنقولة . وتعرضت العائلة ، التي طالما جندها باسل لخدمة الخط القومي الذي كان يدعو اليه ، لظروف غاية في القسوة . واستمر ذلك الى ان اطاح عبد السلام عارف بحكم حزب البعث في ١٨ تشرين الثاني (نوفمبر) من العام ذاته فرفع الحجز عن ممتلكات العائلة وعاد باسل الى العراق من « منفاه » الاضطراري .

ومع عودته ، بدأ الشهر الاقسى في حياة باسل السياسية بله والاكثر ايلاما في حياته كلها . اذ ان حالة « الاسترخاء » التي تلت نجاح انقلاب عبد السلام عارف دفعت « قيادة اقليم العراق » ، في غياب الصراعات الخارجية ، الى « التفرغ » لتصفية « الحسابات الداخلية » .

ومن لا يعرف كره باسل للكذب ولمختلف الاساليب الملتوية والمناورات التنظيمية ، ومن لا يعرف تمسك باسل بقضايا الضبط والربط التنظيميين ، لن يستطيع ان يفهم قراره الخاص بتجميد نشاطه في التنظيم الى ان يصحح الخطأ .

وعندما اثبتت القيادة عجزها عن فعل ذلك عجز باسل ذاته عن التراجع فتكرس قرار التجميد الثاني وغادر باسل الى الولايات المتحدة لمتابعة رحلته الاكاديمية التي توقف عند احدى مراحلها . وجاء قراره هذا في وقت انهالت فيه العروض عليه (من عبد السلام عارف بالذات) لتولي منصب وزير الخارجية او اي منصب اخر غيره .

وطول السنوات الثماني اللاحقة ، حمل باسل على كتفيه صليب آلامه العامة حيثما ذهب . ولم « يساعده » نجاحه الاكاديمي وحصوله على اجازة الماجستير ، من جامعة هوارد – واشنطن في العام ٩١٦٦ ، في اطفاء جذوة حنينه الى حياة النضال السابقة . تماما مثلما لم ينجح نشاطه في « منظمة الطلبة العرب في الولايات المتحدة وكندا » وغيرها في التعويض عما يفقده .

*** ومما يجدر ذكره في هذا المجال ، ان الانفجار في علاقات الاطراف القومية المختلفة (ومن ضمنها جناح حزب البعث الحاكم) كان مرحلة من مراحل تردي العلاقات بين اعضاء جبهة « التجمع القومي » ذلك التردي الذي كان قد بدا حتى قبل اسقاط قاسم في شباط (فبراير) ١٩٦٤ .**

وجاءت الحرب ـ الهزيمة في حزيران ـ يونيو ١٩٦٧ . ولم يبق دخان حرائقها ، في الجو الخانق الذي ساد . ايا من فقاقيع الاكسجين الضروري لتنفس باسل في الغربة ، فعاد الى الوطن ، تاركا جامعته حيث كان يحضر لنيل شهادة الدكتوراة . والنار من تحت مرجل حماسه الفوار ، متوقدة .

ولكن حالة الصراع الداخلي التي كانت تعاني منها حركة القوميين العرب ـ بعد ان شاخت مفاهيمها الفكرية والسياسية وتثلمت اسلحتها التنظيمية وتجاوزت المرحلة اساليبها النضالية ـ لم تمكنها من استيعاب طموحات باسل الجديدة . كما ان « التوجه الفلسطيني » لدى معظم من لم يصب « بالتعب الثوري » من قيادات الحركة ، لم يمكنهم ، في ظل اوضاعهم الحرجة ، من الاسهام في وضع المشاريع النضالية الخاصة بباسل موضع التنفيذ . ولما تأكد له ـ خاصة بعد ان عاد البعث للسلطة في العراق ـ ان حصان العمل الوطني الذي كان يراهن عليه يمر في فترة نقاهة تمنعه من الحركة الواسعة النشطة ، قرر ان العام والنصف المنصرمين منذ عودته للوطن يجب ان لا يطولا اكثر . وهكذا عاد ادراجه الى الولايات المتحدة في مطلع عام ١٩٦٩ لمتابعة التحضير للدكتوراه ثم انتقل ، مع بداية العام ١٩٧٠ ، ليحاضر في احدى جامعات كندا تحت ضغط اعتبارات تتعلق بأوضاع مالية غير مريحة كان وعائلته يمران بها .

وكان واضحا ، عندما تجدد لقاؤنا في البرتة ـ كندا منذ اب (اغسطس) ١٩٧٠ ، انكباب باسل على مراجعة تجارب الماضي وتنمية قدراته الذاتية تمهيدا لدور ما يلعبه في المستقبل . كما كان واضحا ايضا ان باسلا قد نجح في تطوير وتجديد بعض منطلقاته الفكرية ومفاهيمه السياسية باتجاه اليسار الملتزم بحيثيات الاشتراكية العلمية وبمضامينها والنتائج المترتبة عليها نظريا ونضاليا . وقد ترافق ذلك مع تولي باسل لمسؤوليات تنظيمية قيادية ضمن اطار العمل الخارجي الخاص « بالجبهة الشعبية لتحرير فلسطين » في اميركا الشمالية .

ولحظة وصل « قطاره » الاكاديمي الى اخر « محطاته » ، قفل باسل عائدا الى الوطن بعد ان اجيز ، في اواخر العام ١٩٧١ ، دكتورا في العلوم السياسية من الجامعة الاميركية في واشنطن . ومنذئذ بدأ باسل يحضر نفسه للقفز من فوق الحاجز الاخير .

وصل باسل الى الوطن والجو السياسي العام يعبق برائحة دخان الهزيمة الذي انعقد ، في غياب حرارة الانتصار وحضور برودة التراجع الثوري ، غيوما وسحبا حجبت شمس الثورة ولبدت سماء المنطقة

وانهمرت مطرا من اليأس جرف في اندفاعه الكثيرين .

ففي العام ١٩٧٢ ، نجحت معظم النظم العربية في تمزيق تحالفاتها الدولية وتفتيت تضامن معسكرها العربي وتشتيت جبهاتها الداخلية . وكان ذلك كله في اعقاب انزال الستارة على مسرحية « عام الحسم » .

واما حركة المقاومة الفلسطينية ـ امل الثوريين العرب ومن ضمنهم باسل ـ فكانت مطرودة وجريحة ومطاردة . وكان جواد « الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين » ـ وهو موضع رهان باسل المحدد ـ منهكا ومدمى بفعل السياط الذاتية والموضوعية التي انهالت عليه بالضرب المبرح .

وكان الرعب قد ساد وهيمن . فقارب النجاة الذي احتمت فيه بقايا الثورة الفلسطينية غدا عرضة لامواج الهجمة الامبريالية ـ الاسرائيلية الرجعية ، العاتية . وحرب الابادة ـ غير المتكافئة ـ ما عادت خفية . فقد اعلن عنها دق اجراس الاغتيال السياسي طوال المسيرة الجنائزية الموحدة التي حملت اشلاء غسان كنفاني ووائل زعيتر ومحمود الهمشري انطلاقا من بيروت ، مرورا بروما ، وانتهاءا بباريس . وغالبا ما كانت جوارح الموت الوافد في الرسائل المتفجرة او الطرود الملغومة تكتفي بتمزيق الوجوه وقضم الاصابع ونقر الاذان وفقء العيون او اقتلاعها .

وكان باسل ، بحكم اقترابه من دائرة الموت يرى كل ذلك فيخشاه ، وفي الوقت ذاته ، يستمد الشجاعة منه . وكان يتلفت حواليه فيرى تلك الثنائية ـ المتناقضة تحاصره :

ففي اطار عائلته الكبيرة ، رأى القلق على حياته في جميع العيون . واصر ـ مع ذلك ـ على أن تراث التضحيات الذي تملكه العائلة سيأتي دوما لعونها ومواساتها اذا ما اقتضت الضرورة تضحيات جديدة .

وفي دائرة العائلة الصغيرة ، حقن زوجته بمصل « الوعد الذي قطعته على نفسها عند زواجهما بمساندته دوما على اعطاء الاولوية للقضية العامة » ليشكل عندها « المناعة » اللازمة ضد هجمات « فيروس الضعف الانساني » الذي قد يدفعها ـ كأي امراة تحب زوجها حبا شديدا ـ لتطالبه بالالتفات الى تناقض الخاص بالعام .

واذا ما سئل : وماذا عن احمد ويعرب وياسر (اطفاله الثلاثة) ؟ يأتي صوته خفيضا ، متقطعا ، ومتهدجا وان قاطعا : وماذا عن فايز وليلى (طفلا الشهيد غسان كنفاني) .

واذا قيل له : الحصان الذي تراهن عليه جامح وخطر !

اجاب ـ ومن اقدر على ترويضه منا ؟

* وماذا عن المغامرين من رفاقك ؟

ـ لانهم رفاقي ... لا يجوز تركهم وحدهم .

* سيقتلون انفسهم بروح المغامرة عندهم .

ـ مهمتي ان امنعهم من قتل انفسهم . ان احميهم من مغامراتهم .

* وماذا ان قتلت اثناء ذلك ؟

ـ وماذا اذا قتلوا وانا مقتنع بأنه كان بامكاني ان امنع ذلك ؟ اليس الموت اهون ؟

* ولكنها مرحلة هزيمة وتراجع . والعمل الوطني ليس استحضارا لعنترة بن شداد .

ـ بل لانها مرحلة هزيمة وتراجع ، نحن بحاجة الى نوع خاص من الفروسية . نحن بحاجة الى الفارس العصري الذي يساهم في درء خطر وقوع الجماهير في مستنقع اليأس او يضيف ، على الاقل . قطرة الى زيت مشعل املها .. كي لا ينطفيء .. يرصف الطريق . حصوة حصوة ، من اجل ان يمر الموكب القادم . تماما كمن يزرع اليوم .. ويعرف انه لن يأكل غدا . انه ليس تضحية جيل من اجل جيل قادم . انه مجرد هدية متواضعة من افراد في جيل الى جيل اخر قادم .

وارفق باسل الكلمة بالفعل . فاعتذر ، بعد ان حسم الثنائية المتناقضة تلك ، عن عرض جاءه من جامعة الجزائر ليدرس في كلية الحقوق والعلوم السياسية فيها بدءا من ايلول ـ سبتمبر ١٩٧٢ .

وهكذا قطع باسل اخر خيوط شبكة « العنكبوت الطبقي » المنسوجة من حوله ومضى ، مرة اخرى جديدة ، معتليا صهوة الجواد الوطني فارسا عصريا مقاتلا ، هادفا انتزاع الفجر المضيء .. من رحم الهزيمة المعتم .

وفي التاسع من اذار ـ مارس ١٩٧٣ اوفدت « الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين » باسلا الى باريس في مهمة خاصة .. وفي السادس من نيسان ـ ابريل . وبينما كان عائدا ليلا الى فندقه في العاصمة الافرنسية ، اطلق اثنان من عملاء المخابرات الاسرائيلية النار عليه ، في الظلام . ومن الخلف . فانزرع في جسده تسع من الرصاصات ـ الاوسمة .

.. ولحظة هوى الفارس مجندلا على اسفلت ذلك الشارع الباريسي ... نكست قلاع عديدة اعلامها ... وطأطأت جياد كثيرة رؤوسها . وعندما جاءت سيارة الاسعاف لنقل جثة الفارس ، سمع الكثيرون شهقة احد المرضين اذ رأى ، تحت حذاء قدم باسل اليسرى ، بقايا اشلاء اشبه ما تكون بأشلاء ... عنكبوت .

وينتصب السؤال . بعد مضي عام كامل ، عملاقا مقهقها : ايهما اكثر مرارة : الموت ام طعمه في حلق الصديق ؟

وما هم ، الان ، طالما ان الموت ــ الحقيقة المطلقة الاولى ــ قد وقع .. ومرارته ، في حلق من لا زال ينتظر ، مقيمة . ذلك انه يصبح ممكنا الغاء الموت في حالة واحدة.. عندما يكون ممكنا للحقيقة ان تغدو وهما . والى ان يحدث ذلك ، سيبقى طعم الموت في حلق الصدق جرحا دائم التفتح .. ينز علقما وحنظلا .. الى لحظة يجف معها الجرح .. بفعل « مرهم » الموت .. الاتي .

الفصل الأول

لمحة تاريخية

كانت البلاد العربية الواقعة تحت نفوذ الامبراطورية العثمانية خلال الاجزاء الاخير من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، تسير بخطى سريعة نحو الاضمحلال ، في حين أخذ نفوذ الدول الغربية يفرض نفسه اكثر من اي وقت مضى . وفي تلك الاثناء بدأ الوعي القومي العربي في التزايد بينما فقد التيار الداعي الى الالتفاف حول الامبراطورية العثمانية شعبيته تدريجيا . والغاية من هذا الفصل تسليط الاضواء على نشوء وتطور الحركة القومية العربية منذ بدايتها في القرن التاسع عشر حتى الآن . وهذا العرض للحركة القومية ضروري من اجل وضع « حركة القوميين العرب » في سياقها التاريخي الصحيح .

نشوء القومية العربية

يعود نشوء الوعي القومي في الاقاليم العربية التي كانت جزءا من الامبراطورية العثمانية الى عوامل عديدة أهمها :

أولا : حالة التدهور والتفتت التي عانت منها الامبراطورية العثمانية والتي أدت ، في وقت لاحق ، الى تجزئتها . فقد كان لانتصار القومية في البلقان اثره على رعايا السلطان في الأقاليم العربية وخاصة في اوساط

المسيحيين (١) . كما ان النجاح في فصل الجهاز الاداري في مصر بقيادة محمد علي وتدخل القوى الاوربية في الشؤون الداخلية للامبراطورية كانا دليلين آخرين على ان الحكم العثماني لم يكن يملك المناعة او الاستقلالية أو الثبات التي كان يصبغها البعض عليه .

ثانياً : فشل الحركة الخاصة بوضع برامج اصلاحية شاملة والتي حاول كل من سليم الثالث (١٧٨٩ — ١٨٠٧) ومحمود الثاني (١٨٠٨— ١٨٣٩) ومحمد علي (١٨٠٥—١٨٤٩) توظيفها لمقاومة تهديدات القوى العصرية ؛ في تحقيق اهدافها . بل ان هذه الحركة ولدت عكس ما استهدف منها . وقد اشتمل البرنامج الاصلاحي ذاك ، قبل اي شيء آخر ، على اساليب عسكرية اوروبية اذ ان الحكم العثماني ، كان يعتمد تقليديا على التفوق العسكري . وادخلت بالاضافة الى ذلك حياة جديدة الى التنظيمات الادارية الداخلية للامبراطورية على غرار ما حدث خلال الربع الاول من القرن التاسع عشر عندما تم تجديد المؤسسات القديمة . وقد تمت هذه الاجراءات في ما عرف باسم فترة « التنظيمات الخيرية » . ومن الملاحظ ان الاجراءات الاصلاحية الاساسية لم تتم بصورة كلية ، (٢) اذ أن ما تم انجازه فعلا ترك المشكلة الرئيسية — وهي الاسس الشرعية والاخلاقية للامبراطورية — (٣) . وما ان بدأت هذه الاصلاحات حتى طرأت سلسلة من التغييرات على المجتمع العثماني التقليدي . وفي حين كان للسلاطين العثمانيين ومحمد علي — في محاولتهم تعزيز مواقفهم — الخيار في استعمال هذه الاساليب ، لم يكن لهم الخيار في كونها ادت — بالرغم عنهم — الى تجديد واصلاح البناء الاجتماعي للمجتمع التقليدي . وهكذا ولدت استعارة الاساليب الفنية الجديدة من الغرب نشاطا ذاتي الحركة ساعد على نشر قيم واهداف العالم

---

(١) — انظر المصدرين التاليين :

Majid Khadduri, **Political Trends in the Arab world** (Bal. timore : the John Hopkins press, 1970) p. 14; and Albert Hourani, **Arabic Thought in the Liberal Age : 1798-1939** (London : Oxford University press, 1962), p. 262.

(٢) — انظر :

Khaddouri **loc. cit.**: and Zeine N. Zeine, **the Emergence of Arab Nationalism** (Beirut : Khayat, 1966), p. 35.

(٣) — راجع كتاب : Hourani, **op. cit.**, p. 45

الغربي . فقد اخذ الضباط وطلاب الكليـة الحربية الذين تم تدريبهم من قبل العسكريين الاوروبيين يتحمسون لا للاساليـب الفنيـة الجديدة في الصناعة والحـرب فحسب وانمـا ايضـا للمؤسسات السيـاسية والاقتصادية والاجتماعية التي ادت الى تفوق الغـرب .

ثالثا : ايقظ الاثر الناجم عن التوسع الغربي ، الذي لمس لاول مرة خلال الاحتـلال الفرنسي لمصر في ١٧٨٩ ، ما يمكن ان يسمى بالوعـي السياسي لمصر الحديثة . فقد وضع الحكم الفرنسي جزءا من السلطـة السياسـية في أيـدي بعض العناصـر المصريـة الواعيـة وتحديـدا الشيوخ المتعلمون . وكان هؤلاء قد تعلمـوا مبادىء الادارة المنظمة مـن خـلال عملهم في ديـوان الحكومة الجديدة . كمـا فتحت الصحافـة المطبوعة في القاهرة بالاضافة الى « مؤسسة مصر » آفاقـا جديدة في ميادين التعليم . والحقيقة ان هذه المؤسسات كانـت مهتمة بالتراث المصري القديم اكثـر من اهتمامها باستثارة المصريين . ولكن ذلك نال تقديـرا عميقـا كما ترك اثـرا كبيرا حتى على اناس مثل الجبرتي . اكثـر المطلعين على الشـؤون المصرية استفزازا في آرائه . كما أدى ذلك ايضا الى ايجـاد رغبـة حقيقية في التعلم في اوساط مجموعـة صغيرة من شيـوخ الازهـر ، مع ان المجـال لتحقيق هـذه الرغبـة لم يتـح الا في عهـد محمد علي (٤) . ومن خلال مثل هذه السبل وجدت فكرة القومية ـ التي كانت قد أصبحت الفكرة السياسية المهيمنة في اوروبة ـ طريقها لاول مرة الى العالم العربي . وقد ترعرع هذا التاثير الاولي للفكـر الحديث في السياسة والادارة على أيـدي العـرب ذوي الثقافة الغربية وعلى أيـدي المؤسسات الغربية في مرحلة تالية .

ولقد لعب المبشرون الاميركيون دورا متزايدا في سد الحاجة الى الثقافة والتعليـم في الجـزء العربي من الامبراطورية . اذ قامت كل من الكليـة البروتستانتية السورية (التي سميت لاحقا بالجامعة الاميركية ببيروت) والتي تأسست سنة ١٨٦٦ وكذلك جامعة القديس يوسف التـي تأسست سنة ١٨٧٥ ، بـدور هام في نشر افكـار واساليـب الغرب .

وكان طلاب وخريجو المؤسستين المذكورتين نشطين جدا في النـوادي

---

(٤) ـ أنظر :

Jamal Mohammed Ahmed, **the intellectual origins of Egyptian Nationalism** (London : Oxford university press, 1960), pp. 2-8.

الادبيــة والجمعيــات الثقافية التي لعبــت دورا في تطور الفكرة القومية عن طريــق احياء لغة وتاريخ العرب . وكان لنشاطات هــذه الجمعيات نــزعة سياسية . ويعتقــد جورج انطونيوس في هذا المجال ، ان الجمعية السورية العلمية ، التي تأسست في العام ١٨٥٧ هي التي اطلقت الصرخة الاولى للقومية العربية . (٥)

هذا ويعتبر الدكتور نسيبه ان جذور القومية العربية ممتدة الى ما قبل الاسلام في حين يعتقد الاستاذ زين القومية العربية بدأت ما بين عامي ١٩٠٩ ـــ ١٩١٤ عندما أصبح لــدى الشباب التركي شعور متزايد بقوميته .

لقد كان للعوامل المذكورة اعلاه ـــ الظروف المتدهورة داخــل الامبراطورية العثمانية ، الاصلاحات الوقائية واثرهــا العكسي ، ونفوذ الغرب ـــ اثــر كبير على التكوين الاجتماعي التقليدي وعلــى النظــام السياسي للامبراطورية . كما ان حتمية تأثر المثقفين العــرب بمتطلبات وضغــوط العصر الجديد دفعتهم للقيــام ـ من خلال نواديهم الادبيــة وجمعيــاتهم الثقافية ، بدور هام في توعيــة الشعور القومي لدى الرعايا العــرب في الامبراطورية . الا ان زرع بذور الفــكر القومي ، خلال هذه الفتــرة الممتــدة ما بين حوالي منتصف القــرن التاسع عشر والعــام ١٨٧٠ ، تم في بيئــة غير خصبة . ولهذا لم تتمكن هذه البذور من تكوين جذور عميقــة لان الفكــر القومي كان يعتبر فكرا غريبــا عن مبادىء المجتمع الاسلامي . هذا وقد تعمق الحقــد الطائفي نتيجــة لاضطرابات العــام ١٨٦٠ عندما نشب القتــال بين الدروز والمسيحيين ووصــل عدد الضحايا الى رقم مخيف بلــغ (احد عشر الف قتيل) (٦) . وربمــا يكون ذلك قد اعطــى للقوميين سببا ومبررا لتحدي تلك العناصر التقليدية في المجتمع التي كانت لا تزال متمسكة بمفهــوم المجتمع الاسلامي والولاء المطلــق للعثمانيين . وقد توفرت في لبنان حينئذ عوامل عديدة اثــارت

---

(٥) ـــ جورج انطونيوس ، يقظة العرب (نيويورك ، ١٩٦٥) ، ص ٥٤ . ولأجــل التعرف على وجهات نظر أخرى يمكن الاطلاع على ما يلي :

Hourani, op. cit, pp. 260-323; Sylvia G. Haim (ed.) **Arab Nationalism : An Anthology** (Berkley and Los Angeles : University of California press, 1962) pp. 3-72; Zeine, loc. cit and Hazim Zaki Nuseibeh, **the ideas of Arab Nationalism** (Ithaca, New-York : Cornwell University press, 1956).

(٦) ـــ انطونيوس : ذات المصدر ، ص ٥٨ ـــ ٥٩ .

المشاعر المعادية للاتراك وهي : الثقافة العربية ، الافكار السياسية الثورة الفرنسية . احياء اللغة العربية ، انتشار الطباعة ونشر المجلات العربية ، السفر الى الخارج وعودة المغتربين من الولايات المتحدة الاميركية (٧) . وقد نجم عن تزايد نشاط القوميين العرب حل النوادي الادبية والتنظيمات الاخرى اذ اعتبرت نشاطاتها اعمالا معادية للحكم العثماني . وما ان حل العام ١٨٧٠ حتى كانت السلطة العثمانية قد حلت معظم الجمعيات العربية .

امتازت الجمعيات السياسية السرية التي تشكلت في كل من بيروت ودمشق والقاهرة واسطنبول خلال الفترة (١٨٧٠ــ١٩٠٨) بدقة اكثر من سابقاتها في تحديد طلباتها وتعيين اهدافها . وبدلا من المطالب العامة والغامضة الداعية الى اصلاحات سياسية وادارية ، اكدت هذه الجمعيات رغبتها في الحكم الذاتي ومن ثم الانفصال عن الامبراطورية العثمانية (٨) .

ومما تجدر الاشارة اليه هو ان تطور فكرة القومية العربية في هذه الفترة كان ، الى حد كبير ، بفعل تأثير المسيحيين العرب في لبنان الذين كانت اتصالاتهم بالغرب اكثف من بقية السكان . فالمفكرون المسيحيون العرب الذين لم يشعروا بالارتياح تحت الحكم العثماني نتيجة تلقيهم الثقافة الغربية الحديثة (٩) اكدوا على الرابطة القومية باعتبارها العامل الاساسي في بناء الدولة الحديثة .

وهكذا نمت بذور القومية التي زرعتها النوادي الادبية في نهاية القرن التاسع عشر وتطورت من حركة مثالية محصورة في اطار مجموعة صغيرة من المفكرين النخبة الى حركة تحررية تضم عددا متزايدا من الناس . على ان ذلك لا يعني أن الحركة القومية أصبحت تشمل الغالبية العظمى من الشعب او ان فكرها أخذ يسيطر عليهم .

هذا وقد استمرت المعتقدات والتقاليد الاسلامية ، بالرغم من تطور الحركة القومية في الهيمنة على الحياة السياسية والفكرية في هذه

---

(٧) ــ انظر : Zeine, **op. cit.** p. 41.

(٨) ــ راجع :

H.B. Sharabi, **Governments and Politics of the Middle East in the twentieth century** (Princeton, New Jersey: D. Van Nostrand, 1963), p. 110.

(٩) ــ انظر : Zeine, **loc. cit.**

الفتـرة . وقد نشأت ضمن اطـار البيئـة الاسلامية مدرسـة فكريـة جديدة نـادت بايجاد حل للقضيـة العربية على اساس تكويـن اقليـم عربي يتمتـع بالحكـم الذاتي ضمن اطـــار امبراطورية عثمانيـة لامركزية . وقد تكونت هذه المدرسة خارج التيـار الرئيسي للفكر القومي العربي وكبديـل لدعوته الراميـة الى الانفصـــال عن الامبراطورية العثمانية . الا انهـا ساهمت ، بصورة غير مباشرة ، في خدمـة الحركة القوميـة من خلال جذبهـا الغالبيـة العظمى من السكـان الذين كانوا قد رفضـوا ربط انفسهم بالحركة القومية الانفصالية بسبب رابطتهـم الدينية . وقد رحب هؤلاء بالاتجاه الجديد للحركـة القومية المنادي بمبدأ العلاقـات اللامركزية ضمن الاطـار العام للمجتمع الاسلامي القائم . وهكـذا اسهمـت الدعوة الى الحكم الذاتـي في يقظة الوعي القومي لمجرد طرحها الفكرة وجعلها واحدا من الحلول المقترحة لتكوين هويـة عربية واضحة .

وقد يكون من المفيد الاشارة هنا الى أن الفتـرة التـي ترعرعـت خلالها الحركة اللامركزية شهدت نشاطا فاعلا ابداه الشـباب التركي ضد حكم عبد الحميـد الثاني (١٨٧٦–١٩٠٩) — احد أكثـر حكـام الامبراطورية العثمانية رجعيـة . هذا وكانت « جمعية الاتحاد والترقي » — التي قادت فيما بعد عمليـة اسقاط الحكم المستبد لعبد الحميد الثاني قد تقدمت ، خلال المراحـل الاولى من تاريخها ، بعروض للمنظمـات العربية تضمنـت تحقيق تطلعاتها القومية من خلال الوعـد باعطـاء الاقاليم العربية حكما ذاتيا ضمن اطار الامبراطورية العثمانية مقـابل تعاون هذه المنظمات مع « الجمعية » . (١٠) وعندما تم عزل عبد الحميد واعتلى الشبـاب التركي سدة الحكم ، انتعشت الحركة القومية الداعية الى اللامركزية والى التعـاون بين العـرب والاتراك من خلال الاطار العـام للامبراطورية العثمانية . كما كانت العودة الى العمـل بالدستور وحسن النيـة التي اظهرتها « جمعيـة الاتحاد والترقي » تجـاه العرب (بعد الانقـلاب مباشرة) بمثابة ضربة موقتة الى المدرسـة الفكـرية التي نادت بالاستقلال التـام .

الا ان « شهـر العسل » هذا سرعان ما انقضى وبدأت الامور تتطور

---

(١٠) — أنظر :

V. Lutsky, **Modern History of the Arab Countries** (Moscow : progress publishers, 1969), pp. 335-336.

باتجـاه آخـر . فقد نكـث الشباب التركـي في مؤتمر باريس في العام ١٩٠٧ ، وعودهم للعـرب واعلنوا عدم استعدادهم لاقـامة اقاليم عربية على اساس الحكم الذاتي واللامركزية . وقد ادى ذلـك الى انتشار الشعور بخيبـة الامـل لدى اولئـك الذين اعتمدوا على حسـن نيـة الشباب التركـي وعقدوا الآمال على حل القضيـة القومية من خلال الاطـار العام للامبراطورية العثمانية . وهكذا كان على التيارات الداعية الى اللامركزية قبل انقلاب العـام ١٩٠٨ ان تفسح الطريـق لاتجاهات اخـرى تدعـو الى انفصال الاقاليـم العربية عن الامبراطورية العثمانية والى انشاء دولة عربية قوميـة مستقلة .

هذا وقد تم ، اثـر انقـلاب ١٩٠٨ ، تشكيل عدد من الجمعيـات والاحـزاب السياسية بهـدف الدفاع عن القضية العربية وحماية حقوق العـرب . ولعل ابرز هذه الجمعيـات « العربية الفتاة » التي تأسست في باريس في العـام ١٩٠٩ . ولهذه الجمعية اهمية خاصة بهذا البحث . فطبيعتها السريـة الغاية ومبادؤها الواضحة (تحرير الارض العربيـة من الحكم الاجنبي وتكوين دولة قوميـة عربية) ، بالاضافة الى مناضليها الصلبين (واكثرهم طلاب عرب من الهلال الخصيب) جعلتهـا قدوة) لعدد من التنظيمات السياسية لا في ذلك الحين فحسب وانما ايضا لحركة القوميين العـرب بعد حوالي نصف قرن . والواقع انـه منذ تأسيس جمعية « العربية الفتـاة » اصبح النصر حليفـا للحركة العربية القومية واخذت ملامح القـوة وتحديد الهدف تظهر على مبـدأ القومية العربية .

تتوج النضال العربي من أجل التحرر والاستقلال القومي بالثـورة العربية في العـام ١٩١٦ . تلك الثورة التي نقلت الاقطـار العربية من حالة العبودية تحت وطـأة الامبراطورية العثمانية الى واحدة من حالات الاستقلال أو شبه الاستقلال أو التبعية . وتشاء سخرية القدر أن تكون اشد البلدان العربية تخلفـا (شبه الجزيرة العربية) اكثـر المنتفعين من هذه العمليـة اذ نالت استقلالها في حين بقيـت كل من العراق وسورية ـ وهما الاكثـر تطورا وبما لا يقـارن ـ تعانيان من الحكم الاجنبي باشكاله المختلفـة طيـلة سنـوات طوال .

ومن الملاحظ ان الحركة القوميـة العربية كانت ، خلال السنوات الاولى لنشأتها ، حركة مشرقية بالدرجة الاولى . وتعود هـذه الظاهرة الى ان الجـزء الافريقي من العالم العربي كان ، في المرحلـة الاولى ، منفصلا عن الحكم العثماني المباشر اما بسبب الولاة الذين كانـوا ينزعون نحو الاستقـلال او بفعل تاثير القوى الغربية . ومهما يكن السبب ، لا بد

من التوكيد على ان الحركات السياسية في الجزء الافريقي من العالم العربي كانت تسير في اتجاهات مغايرة تماما .

وبعد هذا العرض التاريخي للحركة القومية العربية وبعد تتبع تطور هذه الحركة منذ نشأتها في القرن التاسع عشر وحتى اوائل القرن العشرين ، نستعرض فيما يلي ، الفكر السياسي والاجتماعي الذي انتشر خلال هذه الفترة . والدخول في مثل هذا البحث ضروري من اجل تفهم اعمق للتطورات الفكرية والاجتماعية خلال الفترة التي اعقبت ذلك .

وبهذا الصدد ، يمكن وضع الاصبع على تيارين فكريين رئيسيين : الفكر الاسلامي الاصلاحي والفكر القومي غير الديني . وقد تأثرت الاجيال الطالعة التي اخذت على عاتقها مهمة تحديد النظام السياسي الجديد بهذين التيارين الى حد ما وذلك اثناء بحثها عن هوية لنفسها .

كانت حركة الاصلاح الاسلامي التي دعا اليها كل من جمال الدين الافغاني (١٨٣٩ــ١٨٩٧) ومحمد عبده (١٨٤٩ــ١٩٠٥) وعبد الرحمن الكواكبي (١٨٤٩ــ١٩٠٣) حركة متطرفة تختلف في طبيعتها واسلوبها عن القيادات الاسلامية التقليدية (١١) . ففي حين طالبت الاخيرة بالعودة الى الشكل والروح الاصليين للاسلام ، اخذت حركة الاصلاح الاسلامي بعين الاعتبار القوى الناشئة في المجتمع الاسلامي وفي العالم بصورة عامة واكدت الحاجة الى اعادة تفسير التعاليم الاسلامية على ضوء الظروف الجديدة . وكانت حركة الاصلاح الاسلامي مهتمة ، بالدرجة الاولى بتقديم البرهان على ان الاسلام ينسجم مع الروح العصرية ، وللتدليل على قابلية الاسلام في مواكبة الحياة العصرية ، شجعت الحركة حرية التساؤل والمناقشة وشجبت المعتقدات البالية والخرافات . (١٢)

وقد بقيت حركة الاصلاح الاسلامي بالرغم من اعتبارها المبادىء الاسلامية مصدرها النظري الرئيسي ، وبالرغم من تأييدها لفكرة الامبراطورية الاسلامية ونظام الخلافة ، بقيت حركة تقدمية في جوهرها .

---

(١١) ــ انظر : Haim (ed.), **op. cit.**, p. 18.

(١٢) ــ راجع :

Kemal H. Karpat (ed.), **Political and Social thought in the contemporary Middle East** (N.Y.: preager, 1968), p. 25.

لقد كانت متأثرة الى حد كبير بالثورة الفرنسيه والحضارة الغربية بشكل جعلها تأمل في اعـــادة صياغة النظم الاجتماعية للاسلام معتمـدة على المفاهيم والمثـل الغربية . والواقع ان حركة الاصلاح الاسلامي كانـت تمثل محاولة اصيـلة لاحتواء الفكر التحرري الذي نشـأ في الغـرب ضمن اطار الاسلام . وقد اعتبر جمال الديـن الافغاني ، احد الـرواد البارزين في الحركة ، التماسك القومي مساويا للتماسك الديني . بل انه كان على استعداد لاعطـاء التماسك القومي الاولوية اذا ما ثبت انه اكثر فعاليـة من الدين كقـوة موحدة . (١٣) وقد اكبر محمد عبده — وهو الصديق الحميم للافغـاني وأحد اتبـاعه – على ان حب الوطن واجب ديني ، (١٤) في حين ميـز عبد الرحمن الكواكبي — احد الشخصيات البارزة في الحركة — بين العرب وغير العرب في المجتمع الاسلامي . (١٥) ومن الواضح ان دعـاة الاصلاح الاسلامي وعـوا تماما كون القومية قـوة يجب اخذها بعين الاعتبار بشكل حفزهم على محاولة الربط بـين احياء الاسلام ونهوض القومية العربية .

وبالرغم من ان إقطاب حركة الاصلاح اعتبروا المجتمع العقـائدي الوحدة السياسية الاساسية ، الا انهم تحركـوا ، تدريجيا ، من فكرة الدعوة الاسلامية باتجاه مفهوم الخلافة العربية . وفي حين توقع دعـاة الاصلاح الاسلامي تخليص الدين من شوائب المعتقدات البالية والخرافات تمهيـدا لاحيـاء الاسلام ، هدف القوميون — أمثال ابراهيم اليازجي ونجيب عازوري — الى ابعـاد الدين كليـا عن العمل القومي . وقـد اصبح المفكرون المسيحيون طليعة التغيير لانهم ابـدوا اكثر مـن غيرهم استعدادا للتجاوب مع القـوى الجديدة في الغـرب . وكان امرا طبيعيا ان يرغـب هؤلاء في تأسيس دولة قوميـة لا علاقة لها بالاسلام . كما كان المفكرون العـرب من المسيحيين بحكم كونهم افضل المترجمين للفكـر السياسي والقيـم الغربية ، أول من ايـد فكرة القومية العربية الخالية

---

(١٣) — انظر : Haim (ed.), op. cit., p. 15.

(١٤) — راجع :
Nadav Safran, Egypt in Search of Political Community (Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 1961), p. 71.

(١٥) — انظر : Haim (ed.) op. cit., p. 26.

من اي مضمون اسلامي . (١٦) وقد اكـدوا على انـه لا يمكن للدولة الحديثة ان تسمح بوجود مواطنين من الدرجة الثانية كما كان عليه حال اهل الكتاب عند ظهـور الاسلام . (١٧) وقالوا ان الفصل بين الدين والدولة امر فيه مصلحة كل من الاسلام والشعب العربي . (١٨) وعلى كل حال . كان القوميون ، في محاولتهم بناء دولة عصرية على اساس قومي وعلى غرار النظام السياسي الغربي ، ميالين لتقليص الدين الى « رقابة الضمير الشخصي » وجعلـه « وسيلـة للصلة الشخصية بالخالق » . (١٩)

وهكذا طور القوميون العلمانيون برنامجا ايجابيـا اعتمـد المثل التحررية الأنكلو ـ ساكسونية . وقد تضمن البرنامج ذاك ـ بالاضافة الى فصل الدين عن الدولة ـ دعوة لادخال الاساليب الفنية الحديثـة على الحيـاة . ونشر الثقافة ، وتشجيع الحوافز المحليـة في التنقيب عن الثروات القومية وتوسيع مجال الحريات السياسية والاجتماعيـة والفكـرية واخيرا اصلاح النظام الاداري . (٢٠)

وبالاضافة الى البرنامج المذكور اعلاه الذي لاقى تأييد الغالبيـة العظمى من الطبقة الوسطى المكونة من المهنيين والضباط والمفكرين ـ

---

(١٦) ـ راجع :

Hisham Sharabi, **Arab intellectuals and the west : The formative years, 1875-1914** (Baltimore : The John Hopkins press, 1970), p. 17.

(١٧) ـ كانت حقوق أهل الكتاب في الدولة الاسلامية مصانة . ولكنهم كانوا ، مع ذلك ، عرضة لاداء بعض الواجبات التي لا تطلب من المسلمين ولا تضعهم على قـدم المساواة . حول هذا انظر :

Cf. E.I.J. Rosenthal, **Islam in the Modern National State** (Cambridge: the University Press), pp. 107-108.

(١٨) ـ انظر : Haim (ed.), **op. cit.**, p. 30.

(١٩) ـ راجع : Safran, **op. cit.**, p. 85.

(٢٠) ـ انظر :

R. Bayly Winder (Trans.), **The Meaning of Diaster,** by Constantine K. Zyrayk (Beirut: Khayat's College Book Cooperative, 1956), pp. 39-42.

بدأت تظهر في الصحف المحلية مقتطفات من الفكر الاشتراكي منذ أوائل القرن التاسع عشر . وكان نشر هذا الفكر ، على وجه الاجمال ، نتيجة لجهود المفكرين المسيحيين المتأثرين بالثقافة الغربية . وقد اكد هؤلاء على ان الاكتفاء بمجرد الاستقلال القومي سيكون بلا جدوى وانه يجب . اذا ما أريد ان يكون له اي معنى ، أن يرتبط بالتغيير الاجتماعي . (٢١)

ولعل الدكتور شبلي شميل (١٨٦٠–١٩١٦) كان أول المفكرين العرب الذين ادخلوا مفهوم الاشتراكية الى العالم العربي . وقد عنت الاشتراكية بالنسبة اليه ، تدخل الدولة في الآلية الاجتماعية « من اجل انجاز التعاون سعيا وراء الرفاهية للجميع » . (٢٢) وقد رفض كل انواع

التكتل سواء كان دينيا او قوميا اذ « ان التعصب القومي لا يقل سوءا عن التعصب الديني ، وسواء عاجلا أو آجلا يجب على الولاء للوطن المحدود ان يفسح الطريق امام الوطنية العالمية » . (٢٣) ومن بين رواد الاشتراكية الاوائل ، فرح انطون ونقولا حداد وامين الريحاني . وقد قام هؤلاء الثلاثة بتسخير اتحاد الكتاب العرب الذي تأسس في نيويورك في العام ١٩١٠ لنشر اهدافهم . كما شرحوا في المجلة الاشتراكية **« الجمعية »** افكارهم حول الاشتراكية والحكومة . وبخلاف تيار القوميين التحرريين الذين آمنوا بمبادرة القطاع الخاص لتحقيق التقدم القومي على أسس رأسمالية ، اختار هؤلاء الكتاب برنامجا اشتراكيا ديمقراطيا تقوم بتنفيذه أحزاب اشتراكية على أسس ديمقراطية . وقد توافق ذلك مع عودة سلامة موسى الى مصر بعد ان تلقى تعليمه في بريطانيه ولانه كان يعي بقوة وضع شعبه المتخلف ، باشر سلامة موسى في نقل أفكار برنارد شو والفابيين الى الشعب المصري . وكان له الفضل في كتابة أول دراسة حول الاشتراكية باللغة العربية . (٢٤)

وقبل المضي في استعراضنا الى فترة ما بعد الحرب العالمية الاولى لعله من المفيد ذكر الملاحظات التالية :

---

(٢١) — راجع : Hourani, op. cit., p. 339.

(٢٢) — المصدر السابق ، ص ٢٥٢ — ٢٥٣ .

(٢٣) — المصدر السابق ، ص ٢٥٢ .

(٢٤) — وظهر الكتاب تحت عنوان : الاشتراكية (القاهرة : المطبعة الاهلية ، ١٩١٣).

اولا : كانت حركة الاصلاح الاسلامي والحركة القومية ــ اللتان اعتبرتا التيارين الفكريين الرئيسيين السائدين على المسرح العربي خلال الفترة قيد البحث ــ متأثرتين بالفكر التحرري الغربي . وقد حاول دعاة الاصلاح الاسلامي اعادة تفسير المبادىء الاسلامية بحيث تكون أكثر انسجاما مع القيم التحررية للغرب المتقدم . اما القوميون فقاموا بتبني المبادىء التحررية الغربية بحذافيرها .

ثانيا : انشغل دعاة الاصلاح الاسلامي والقوميون ، قبل اي شيء اخر ، بوضع الاطار العام للتقدم في المستقبل . وكانت حركتيهما مشغولتين بتحديد العلاقة بين الاقاليم العربية والامبراطورية العثمانية . وبعبارة اخرى كانت المشكلة السياسية في المقدمة بينما بقيت المشكلة الاجتماعية في المؤخرة .

ثالثا : فشل التيار الاشتراكي المتمثل في فئة قليلة من المفكرين في فرض نفسه . ويعزى فشله الى كون الاشتراكيين الأوائل قد تقدموا بمختلف الافكار الاشتراكية المعمول بها في المؤسسات الغربية . ولم يكن امرا واقعيا الانتظار بان تعمل الاشتراكية الديمقراطية في بيئة غربية تماما . وبالاضافة الى ذلك ، فشل الاشتراكيون العرب الاوائل في ربط الاشتراكية بالقومية العربية . وقد كان ذلك عائقا جديا امامهم ــ خاصة.وان دعوتهم الى الاشتراكية جاءت في فترة اتسمت بالحماس القومي المتزايد .

الحركة القومية العربية بين الحربين العالميتين

كان للثورة العربية في العام ١٩١٦ وللحرب العالمية الاولى اثر عميق على تطور الحركة القومية العربية . فقد ادى فشل وانحلال الامبراطورية العثمانية (١٩١٨) وتكوين مجموعة من الدول العربية بعد ذلك الى احداث تغييرات مهمة في الفكر السياسي العربي .

فمن ناحية ، تم القضاء على الخلاف بين دعاة الاصلاح الديني وبين القوميين لصالح الاخيرين . فأنشاء دول عربية علمانية تحت قوى الانتداب من جهة ، والغاء نظام الخلافة من جهة اخرى ، حطم آمال الغالبية العظمى من دعاة الاصلاح الاسلامي الذين شكلوا تحديا للقوميين قبل الحرب . وبالرغم من ان الجيل الثاني من دعاة الاصلاح الاسلامي مثل رشيد رضا ــ احد اتباع محمد عبده ــ حاول ان يعيد الثقة في الاسلام بطرح خطوات عملية محدودة لاعادة

الخلافة . لم تكن النخبة الجديدة التى نشأت بعد الحرب مهتمة مطلقا باعادة انشاء دولة اسلامية .

ومن ناحية ثانية . فان النضال من أجل الحصول على الاستقلال التام وبناء نظم اجتماعية وسياسية وعملية جعل مسألة نشوء فكر جديد . أكثر عمقا من فكر جيل ما قبل الحرب . أمرا لا مفر منه . ولقد حاولت قيادة الحركة القومية (التى تسلمت السلطة تحت وصاية قوى الانتداب) دون جدوى تطبيق اسلوب الغرب التحررى بنظمه الاقتصادية على العالم العربى . ولكن مشاكل التغيير الاجتماعى والاقتصادى المتشعبة جعلت مسألة اقامة نظام ديمقراطى ليبرالى امرا غير ممكن .

وانه لمن غير المعقول . نظرا لاغتراب التقاليد السياسية الغربية عن العرب ، ان ينتظر من النظم الليبرالية النجاح في الوطن العربي . فقد عاش العرب عدة قرون تحت وطأة الحكومات المستبدة كان البون اثنائها شاسعا بين النخبة ومجموع الشعب سواء في قوة او مواقف كل منهما . (٢٥) ومن الممكن القول دون تردد ان العرب لم يكونوا بعد مستعدين لتقبل المؤسسات والابتكارات السياسية الغربية لانها كانت مناقضة لمناهجهم الثقافية .

ومن ناحية ثالثة . اكتسب الفكر الاشتراكي زخما في الوطن العربي بعد الحرب مباشرة . واحد اسباب ذلك هو انتصار ثورة تشرين الاول أوكتوبر في روسيه . فقد لاقت نظرية لينين القائلة بأن « الاستعمار هو اعلى مراحل الرأسمالية » رواجا لدى الكثير من المفكرين العرب الذين ايدوا فكرة تحالف شعوبهم مع الاتحاد السوفياتي . وقد شهدت السنوات العشر الاولى بعد الحرب انتشار الخلايا الاشتراكية الثورية في كل من مصر والعراق ولبنان وفلسطين . وقد رفض الاشتراكيون الناشئون رفضا تاما كل المفاهيم الديمقراطية لجيل ما قبل الحرب . وحاولوا ، بدلا من ذلك . استخدام الماركسية في دراستهم لمجتمع الشرق الاوسط .

ومن الجدير بالملاحظة انه في حين القى ماركس وانجلز الضوء على

---

(٢٥) ـ انظر :

Elie Salem, «Emerging Government in the Arab World», **Orbis,** VI (Spring, 1962), p. 104.

عملية التطور الاجتماعي وبحثا المرحلة التاريخية التي سبقت الرأسمالية . لم يعر الماركسيون العرب ، وبخاصة الشيوعيين منهم ، سوى قليلا من الاهتمام لتفهم الحركة القومية العربية وتكوينها الاجتماعي والاقتصادي . كما انهم باشروا بسرعة في وضع برنامج ملائم لشعب صناعي وحاولوا تنظيم احزاب شعبية بروليتارية في بلدان لا وجود فيها للبروليتارية الصناعية . (٢٦) وعلاوة على ذلك فشل هؤلاء في تفهم القومية العربية ضمن اطار نضالها الموسع من اجل الاستقلال القومي والتقدم الاجتماعي للشعوب المستعمرة . والواقع انهم نفروا القوميين العرب منهم عندما ادعوا بان الامة ظاهرة اجتماعية خلقتها البورجوازية القومية خدمة لمصالحها . (٢٧) وبصورة عامة لم يتمكن الماركسيون العرب ، في فترة ما بين الحربين العالميتين ، من تفهم وتفسير مشاكل الحركة القومية العربية بالشكل الصحيح . وكانوا ، نتيجة لذلك ، ميالين الى اطلاق تعاريف وتعاميم لا علاقة لها بالحياة العربية .

وقد ادى فشل الماركسيين النظريين في تقديم تحليل عملي وموضوعي للمشاكل الاساسية التي تواجه الحركة القومية العربية الى نشوء عدد من المجموعات الاشتراكية التي رفضت الطريقة غير النقدية التي طبق الماركسيون النظريون بواسطتها مبادئهم . ومن أبرز هذه المجموعات ، تلك المتحلقة حول « جمعية الاهالي » ، التي ضمت عددا من المفكرين العراقيين الذين بداوا نشاطهم السياسي في أوائل الثلاثينات . ولم يؤمن هؤلاء بعكس الماركسيين النظريين ، بوجود الصراع الطبقي في مجتمعهم واعترفوا بالمؤسسات الدينية والعائلية . (٢٨) ومع ذلك ،

---

(٢٦) ــ راجع :

Walter Z. Laquer, **Communism and Nationalism in the Middle East** (New York: preager 1956), p. 271.

(٢٧) ــ الحكم دروزة ، **الشيوعية المحلية ومعركة العرب القومية** (بيروت : دار الفجر ، ١٩٦١) ، ص ٤١ ــ ٤٢ .

(٢٨) ــ انظر :

Majid Khadduri, **independent Iraq: A study in Iraqi Politics from 1932-1958** (London: Oxford University Press, 1960), p. 71.

فان « جمعية الاهالي » التي اختارت طريقا مختلفا عن الماركسيين النظريين فشلت بدورها في اتخاذ موقف مستقل من القضية القومية عندما انكرت ، مقتفية آثار الشيوعيين . القومية وربطتها بالطغيان والرياء . (٢٩) ولو ان « جمعية الاهالي » والتيارات الاشتراكية المستقلة الاخرى تفهمت القومية بصورة ايجابية لتمكنت من السير بالحركة القومية العربية نحو افاق جديدة من خلال طبعها بأفكارها التقدمية . وعلى كل حال فان تفضيل الاشتراكيين للقومية القطرية على القومية العربية يجعلهم يتحملون الى جانب الشيوعيين والمجموعات الانفصالية جزءا من اللوم على تجزئة الحركة القومية العربية الوحدوية خلال فترة ما بين الحربين . والواقع انه بغض النظر عن العوامل الاخرى ، عمقت هذه المجموعات من حدة النزعة الاقليمية .

لقد كان على الحركة القومية العربية ان تخوض عملية تغيير شاملة في بنائها وفي فكرها من اجل ان تكيف نفسها مع الظروف الجديدة . فقبل الحرب كانت هناك حركة موحدة بشكل ما تناضل من أجل تثبيت حقوق الاقاليم العربية في الانفصال والتطور القومي المستقل . وكان نضالها موجها بالدرجة الاولى ضد المؤسسات السياسية للامبراطورية العثمانية ذات الشرعية الدينية . اما بعد الحرب فقد تجزات الحركة القومية الى عدة منظمات سياسية انهمكت كل منها في نضالها من اجل استقلال الدولة التي نشأت فيها . وعلاوة على ذلك ، اعطت الاحزاب السياسية الناشئة الاولوية لمشكلة دمج المجموعات الاجتماعية في اطار وجود سياسي منفصل اكثر مما عملت في سبيل تحقيق الهدف القومي الجوهري الخاص باقامة دولة عربية قومية واحدة . (٣٠) وهذا لا يعني انهم تركوا المبدأ القومي بصورة كلية ، بل انهم استمروا في الواقع ، في اعتبار الوحدة هدفهم الجوهري مع ملاحظة ان فكرة الوحدة كانت — في تلك المرحلة — تتجسد في الدعوة الى الوحدة السورية باعتبارها الخطوة العملية الاولى .

هذا وقد ظهرت الى الوجود ، من خلال تجزئة الحركة القومية العربية ، منظمة من نوع جديد عرفت باسم « عصبة العمل القومي » .

---

(٢٩) — المصدر ذاته .

(٣٠) — انظر : Karpat (ed.), op. cit., pp. 10-11.

وقد شكل هذه المنظمة مجموعة من المفكرين الشباب في أوائل الثلاثينات . وقد ميزوا منظمتهم هذه عن غيرها من المنظمات في جعلها المنظمة الوحيدة آنـذاك ، التي رفضت الاعتراف بشرعيـة الحدود الاقليمية التي احتطتها القوات الاجنبية . وقد دعت وعملت هذه « العصبة » باخلاص في سبيل محـو تلـك الحدود . ومن اجل تحقيق هذه الغـاية ، فتحت المنظمـة فروعـا لها في سورية ولبنان وفلسطين وقدمت برنامجا شاملا للعمـل القومي لا في المشرق العربي فحسب بل وفي مصر والاجـزاء الاخرى من الوطن العربي ايضا . كما انها حاولت صياغة مبـدأ قومي منتظم من خلال الاسهـام في تعريف كل من القومية والامة بصورة واضحة . هـذا بالاضافة الى محاولتها وضع منهاج محـدد للعمل من اجل انشاء نظـام حديث للدولة . تتضمن بنـاء سياسيا واقتصاديـا واجتماعيا ممكـن التطبيق . (٣١)

واخيرا ، تأثر مؤسسو «حركة القوميين العرب» الى حد كبير بالدور الذي لعبته « العصبة » في الثلاثينات ، كما سنرى في الفصل القـادم . والواقع انهم ينسبون الى « العصبة » الفضل في الابقـاء على الحركـة القومية في وقت ابتعدت فيه بقيـة المجموعات القومية والاحـزاب السياسية عن مفاهيمها القومية . وقد تكون هذه العبارة مبالغا فيها ، الا انه من المؤكـد ان « عصبة العمل القومي » مثلت ظاهرة فريدة في تلك الفتـرة . وبخلاف احزاب الكتلة التي اختارت العمل في اطـار انظمـة الامر الواقع . رفضت العصبة القيـام بأية تسوية تضر بالهدف القومي وبينـت ، علاوة على ذلـك ، اصالة العقيـدة القومية العربيـة في فكرها وعملها .

الحركة القومية العربية خلال
وبعد الحرب العـالمية الثانية

دخل الفكر العربي القومي ، مع بداية الحرب العالمية الثانيـة ، مرحلة جديدة من التطور هـي مرحلـة القومية الشاملة . فقـد كانت

---

(٣١) ــ انظر :

Hourani, **op. cit.**, p. 308, and A.H. Hourani, **Syria and Lebanon** (London: Oxford University Press, 1954), pp. 197-198.

كتابات ساطع الحصري مفيدة في شرح وتفنيد مفهوم القومية الذي اكد على السيادة التامة للدولة القومية . وقد دعا الحصري الى انصهار الفرد في الامة الى درجة التضحية بالحرية الفردية . (٣٢) كما ورفض كل اشكال القوميات القطرية في العالم العربي وذلك بتوسيع مفهوم الامة العربية لتشمل مصر وشمال افريقيه . وقد بنى الحصري في صياغته لنظريته القومية ، مفهومه على قاعدة اللغة السائدة ليشمل كل الذين يتكلمون اللغة العربية .

وقد ساعدت دراساته الدقيقة في توضيح العديد من المفاهيم المغلوطة عن القومية العربية مما ادى الى جعل وجود الامة العربية الواحدة حقيقة لا جدال فيها . ولهذا السبب اعتبر ويعتبر الكثيرون من الكتاب ساطع الحصري فيلسوف القومية العربية بلا منازع .

الا ان كتابات الحصري لم تعالج النواحي الاقتصادية والاجتماعية في بناء الامة . وكانت افكاره ذات علاقة بمراحل الاحتجاج القومي اكثر من اهتمامها بمهام البناء القومي . وانبرى مفكر آخر هو الدكتور قسطنطين زريق لمعالجة المهمات الاساسية في البناء القومي . وقد حث زريق العرب على تبني المؤسسات المعمول بها في الغرب باعتبارها الخطوة الاولى لمواجهة تحدي العصر الحديث . ولعل محاولاته هذه هي اكثر المحاولات تنظيما لصياغة برنامج يعتمد على المفاهيم التحررية الانكلو ساكسونية . وعلى كل فان افكاره لم تجد طريقها الى الجيل الجديد الذي بلغ رشده في الاربعينات . واحد اسباب ذلك هو انهم ربطوا برنامج زريق بالنظام الدستوري المشوّه الذي قدمته قوى الانتداب في فترة ما بين الحربين العالميتين .

اعتمد الانتقال من نظرية القومية « الخالصة » او قومية اللغة والتاريخ الى النظرية الشاملة ذات المحتوى الاقتصادي والاجتماعي بالدرجة الاولى على مبادىء حزب البعث العربي الاشتراكي . والحقيقة ان نشوء هذا الحزب في اوائل الاربعينات يمثل نقطة تحول في تاريخ الحركة القومية العربية .

فمن ناحية اولى ، يعود لحزب البعث الفضل في معالجة المشاكل الاجتماعية والاقتصادية التي واجهت تطور الاقطار العربية . وكان

---

(٣٢) ـ راجع : Haim, op. cit., p. 44.

هو الحزب العربي الاول الذي وجد في خاصية البناء الاشتراكي وسيلة لتوفير المحتوى الاجتماعي للقومية العربية . (٣٣) وقد اعطى هذا التوفيق بين الاشتراكية والقومية العربية زخما جديدا للحركة القومية التي كانت حتى الاربعينات ، محاطة ومحاصرة بالقوميات القطرية وبالدعوات المحلية الى الاشتراكية التي فشلت في التكيف مع ظروف المجتمع العربي المختلفة . ولقد لاقى دفع القومية العربية بالطابع الاشتراكي تأييدا من قطاعات كبيرة من الشعب العربي التي آمنت بأن الاشتراكية هي الحل الافضل لمشاكلهم الاقتصادية . (٣٤)

ومن ناحية ثانيه ، مثل حزب البعث انطلاقة جذرية مختلفة عن الاحزاب القومية السابقة من حيث التنظيم والبناء الاشتراكي . وبخلاف كتلة الاحزاب ذات الروابط الواهية التي كانت في العادة ، واقعة تحت تأثير نفوذ العوائد الكبيرة ، قدم البعث بناء تنظيميا مركزيا يعتمد على نظام الخلايا السرية . (٣٥) وبالاضافة الى ذلك ، حاول حزب البعث الاعتماد في تنظيمه على الطبقة العاملة .. وبالرغم من انه لاقى نجاحا ضئيلا في هذا المضمار ، فانه انتشر بين صفوف الطلاب والمفكرين وعناصر البورجوازية الصغيرة .

ومن ناحية ثالثة ، رفض حزب البعث « التوجه الاقليمي » الذي دعا اليه الرعيل الاول من القوميين في محاولتهم النضال في سبيل الاستقلال التام لكل قطر عربي . وبدلا عن ذلك ، دعا البعث الى « التوجه القومي » الذي ينبغي بموجبه ، على كافة القوى القومية في العالم العربي ان تشن نضالا مشتركا ضد اعدائها . والواقع أن حزب البعث أعتبر نفسه تجسيدا للقومية في الوطن العربي .

وهكذا أدى نشوء حزب البعث الى فتح آفاق جديدة امام الحركة القومية العربية . ولم يقبل الحزب بالامر الواقع بل اطلق مجموعة كاملة من القضايا والمشاكل المتعلقة بالحركة القومية . وقد

---

(٣٣) ــ انظر :

Kamel S. Abu Jaber, **The Arab Ba'th Socialist Party: History, Ideology, and Organization** (Syracuse, N.Y. : Syracuse U. Press, 1966), p. 147.

(٣٤) ــ انظر : Zeine, **op. cit.**, p. 153.

(٣٥) ــ راجع : Abu Jaber, **op. cit.**, pp. 139-144.

ساعد البعث نظريا وعمليا على الاسراع بالبناء السياسي والاجتماعي في العالم العربي . وبالامكان القول ان التوفيق بين الاشتراكية والقومية العربية ، الذي كان البعث اول من دعا اليه ، غير بصورة جذرية من بنية واهداف الحركة القومية العربية . ومما تجدر الاشارة اليه هو ان شعار الحزب : « الوحدة ، والحرية ، والاشتراكية » هو نفسه شعار الحركة القومية في الوقت الحاضر .

الفصل الثاني

ظهور "حركة القوميين العرب"

تحكمت ثلاثة عوامل سياسية في تطور الاحداث في المشرق العربي بعد تقسيم فلسطين . وكان أول هذه العوامل المعارضة الشديدة التي أبدتها الجماهير العربية لقيام دولة اسرائيل . وقد عبرت هذه المعارضة عن نفسها بالعداء المتزايد للغرب ، ذلك العداء الذي اتخذ ، بشكل اجمالي، صورة سلبية غير نشطة وان كان قد افصح عن نفسه بين حين وآخر ، بمظاهرات معادية للغرب طافت شوارع المدن الرئيسية . أما العامل الثاني فتمثل في الاضمحلال التدريجي لنفوذ الصفوة الحاكمة التي لم تقم بأي دور فعال خلال الحرب العربية ــ الاسرائيلية في العام ١٩٤٨ . أما العامل الثالث فكان في نشوء حركة جديدة وواعية تقوم على أساس تصميم الشباب العربي وتحركه لمواجهة التحدي .

ويهدف هذا الفصل الى تتبع أصول « حركة القوميين العرب » ودراسة تطورها منذ بدايتها الاولى بعد الحرب العربية ــ الاسرائيلية الى منتصف الخمسينات . وكي نضع « حركة القوميين العرب » في الاطار السياسي العربي العام ، سنحاول تحديد علاقة « الحركة » بالمجموعات الاخرى والاحزاب والحكومات التي نذرت نفسها لخدمة القضية العربية .

هذا مع العلم ان المقارنة ستكون بالدرجة الاولى ، مع « حزب البعث العربي الاشتراكي » بصفته منظمة مماثلة .

كتائب الفداء العربي

مثلما يحمل الرجال طوال حياتهم علائم طفولتهم كذلك الاحزاب التي كثيرا ما تتأثر بأصولها (١) ولهذا تغدو مهمة التنقيب في أعماق جذور « حركة القوميين العرب » مسألة ضرورية لتفهم الاتجاهات الحالية للمنظمة .

وبالرغم من نفي « حركة القوميين العرب » وجود أية علاقة لها « بكتائب الفداء العربي » فان ثمة دلائل كافية في كتابات الاعضاء السابقين والمنافسين السياسيين تثبت وجود علاقة بين المنظمتين(٢) والواقع أنه من غير الممكن انكار تأثير « كتائب الفداء العربي » على البناء التنظيمي وعلى فكر « حركة القوميين العرب » وخاصة خلال سنوات تكوينها . ويكفي أن نعرف ان كلا من هاني الهندي وجورج حبش – القائدان البارزان في « حركة القوميين العرب » – كانا من بين القادة المؤسسين (للكتائب) . وسواء كانت « الكتائب » جذرا « لحركة القوميين العرب » أو مجرد حقل تجارب لعمل قادة « الحركة » في المستقبل فأمر قليل الاهمية . ولكن ما هي « كتائب الفداء العربي » ؟ وفي أية ظروف نشأت ؟ وماذا قدمت للسياسة العربية ؟

كانت « الكتائب » وليدة نكبة فلسطين وان لم تظهر كمنظمة ارهابية الا بعد المحاولة الفاشلة لاغتيال الزعيم أديب الشيشكلي ، مساعد رئيس

---

(١) – انظر :

Maurice Duverger, **Political Parties** (New York: John Wiley, 1955), p. XXXII.

(٢) – ومن الجدير بالملاحظة ان كافة أدبيات الحركة ووثائقها لا تشير باي شكل من الاشكال الى « كتائب الفداء العربي » . ولكن محسن ابراهيم – وهو عضو سابق في اللجنة التنفيذية « لحركة القوميين العرب » – اماط اللثام عن هذا السر في كتابه « لماذا منظمة الاشتراكيين اللبنانيين ؟ » (بيروت : دار الطليعة ١٩٧٠) ، ص ١٦ . ويعتقد حزب البعث كذلك بان « الكتائب » كانت النواة التي بنت « حركة القوميين العرب » حولها تنظيمها . وقد صرح بذلك عبدالفتاح الزلط في مقابلة شخصية مع المؤلف في ٥ تشرين ثاني – نوفمبر ١٩٦٨ .

اركان الجيش السوري ، في ١١ تشرين اول — نوفمبر ١٩٥٠ . فحال توقف حرب ١٩٤٨ بين العرب واسرائيل عند النهاية المشؤومة المعروفة ، عبر الشعب العربي عن استيائه من حكوماته بالاضرابات والمظاهرات وأصبح من الواضح انه لا بد من اجراء تغييرات جذرية . وفي الوقت ذاته ، أخذ الشباب العربي المتطرف — وخاصة في أوساط اللاجئين الفلسطينيين الذين طردوا من ديارهم في فلسطين — يبحث ، بلا امل ، عن بوادر تغيير في العالم العربي . وقد عرض البعثيون انفسهم كأداة لهذا التغيير ولكن افكارهم الاصلاحية فشلت في تحقيق تطلعات الجماهير التي نزلت الى الشارع بحثا عن قيادة اكثر صدامية وصلابة . وبشكل عفوي تنادت الى العمل مجموعة من الشباب المتطرف ، كانت ترتاب في النهج التدريجي لأحزاب المعارضة — ومن ضمنها البعث — وأخذت تجتمع في دمشق وبيروت وعمان لوضع الحجر الاساسي لمنظمة سرية شبه عسكرية نذرت نفسها لتحرير فلسطين وعرفت « بالكتائب » .

كان القادة المؤسسون « لكتائب الفداء » شبابا في أوائل العشرينات من اعمارهم . وكانوا قد تشبعوا بأفكار سياسية متطرفة من خلال تجربتهم المرة كمتطوعين يحاربون الى جانب الجيوش العربية في فلسطين . وكانوا قد شاهدوا بألم في ميدان القتال التناقض بين قوة اسرائيل وبين ضعف الجيوش العربية المجزأة . ومما زاد في حدة تجربتهم المؤلمة الهزيمة العسكرية واجبار الفلسطينيين على النزوح عن ديارهم .

ويروي الدكتور جورج حبش بعض ذكرياته قائلا : « لقد شعرت بالاهانة في أحداث ١٩٤٨ . فقد أتى الاسرائيليون الى اللد واجبرونا على الفرار . انها صورة لا تغيب عن ذهني ولا يمكن أن أنساها . ثلاثون الف شخص يسيرون .. يبكون .. يصرخون من الرعب .. نساء يحملن الرضع على أذرعهن والاطفال يمسكون بأذيالهن .. والجنود الاسرائيليون يشهرون السلاح في ظهورهن .. بعض الناس سقط على قارعة الطريق ، وبعضهم لم ينهض ثانية . لقد كان أمرا فظيعا . ما أن ترى ذلك حتى يتغير عقلك وقلبك ... فما الفائدة من معالجة الجسم المريض عندما تحدث مثل هذه الامور ؟. يجب على الانسان أن يغير العالم ، أن يعمل شيئا ما ، يجب أن يقتل اذا اقتضى الامر . يقتل ولو أدى ذلك الى أن نصبح بدورنا غير انسانيين » (٣) .

---

(٣) — انظر :

Orianna Fallaci, «A Leader of the Fedayeen: 'We want a war Like the Vietnam War'». In Life, June 12-1970.

ونستطيع من خلال هذه السطور ، تفهم الاثر النفسي للاحتلال الصهيوني ولهزيمة الجيوش العربية على الشباب العربي الذي قرر فيما بعد ان يدافع عن وطنه بقوة وحماس . وقد اكد كل من هاني الهندي وجهاد ضاحي — وهما من القادة المؤسسين « للكتائب » — الاثر العميق لنكبة فلسطين على سلوكهم وطريقة تفكيرهم (٤) . فلقد كانت النكبة بالنسبة لهما ولبقية اعضاء تلك المنظمة نقطة تحول في حياتهم . ولم يعد بمقدورهم ان يسلكوا حياة طبيعية كبقية البشر اذ تملكتهم فكرة الانتقام . وكانت حرب فلسطين قد زادت من حدة التوتر الذي كان سائدا في العالم العربي منذ فترة . وقد دفع الخوف من خطر التوسع الصهيوني هؤلاء الثوار الشباب الى العمل ، والعمل فورا ، قبل فوات الاوان اذ رأوا في وجود اسرائيل تهديدا مستمرا لتحقيق اهدافهم القومية ولم يكن عند هؤلاء ، في ذلك الحين ، امر اكثر اهمية من تحقيق اهدافهم تلك .

كان من الطبيعي ان يتأثر الشباب العربي المتطرف بمختلف المبادىء الثورية في اوروبة الغربية حيث تلقى بعضهم العلم . الا ان ذلك لم يلههم عن دراسة تجارب الحركات الثورية العربية والاستفادة منها في اختيار استراتيجيتهم وتكتيكهم (٥) . وقد نتج عن ذلك خليط غريب من الافكار الثورية التي اعتمدت على العداء الشديد للصهيونية والكراهية للغرب وادت الى تقديس العنف السياسي بحيث اصبح جيوسيبي غاريبالدي ، القائد الفدائي الايطالي ، مثلهم الاعلى . وقد قارن هؤلاء الشباب المتطرفون بين مشاكلهم والمشاكل والعراقيل التي جابهت غاريبالدي في سعيه من اجل تخليص ايطالية من حالة الضعف والتجزئة . وقد اعجبوا بالدرجة الاولى بشجاعة غاريبالدي اللامتناهية وبقابليته القيادية وتصميمه على الدفاع عن رومة في الوقت الذي اظهر فيه بقية « الثوريين » مقاومة ضعيفة ضد عدوة النظام القديم . ولقد لاحظوا التشابه بين واجباتهم وواجبات اتباع غاريبالدي الذين لقبوا انفسهم باصحاب « القمصان الحمراء » (٦) . ورحبت الجماهير بقطع الصلة بالماضي ورأت في التجربة الايطالية قدوة .

كما وجد الشباب العربي المتطرف في جيوسيبي مازيني مثلا آخر

---

(٤) — مقابلة شخصية بتاريخ ٣٠ حزيران — يونيو ١٩٧٠ .

(٥) — المصدر ذاته .

(٦) — المصدر ذاته .

يحتذى . فقراوه بعمق ودرسوا تجربته كعضو في الجمعية الوطنية السرية « كاربوناري » وكمؤسس « لجمعية ايطالية الفتاة » . وتعلموا ، من خلال قراءتهم عن «الكاربوناري»، استعمال الاسماء المستعارة وكلمات السر وأساليب أساسية أخرى في عمل المنظمات السرية (٧) . ومن خلال فهمهم لتجربة « جمعية ايطالية الفتاة » ، ايقن هؤلاء الشباب بأن السبل التي يجب اتباعها لتحقيق أهدافهم القومية هي التثقيف والكفاح المسلح . وكان لتأكيد مازيني على مزايا الوحدة القومية ولرفضه مقولة الصراع الطبقي اثرهما البعيد على الكتائبيين (٨) .

هذا وقد تأثر الكتائبيون كذلك بكل من كافور وبسمارك اللذان اعطيا الاولوية لقضية الوحدة القومية وفضلاها على الاصلاحات الدستورية ونجحا ، بفضل ذلك ، في محاربة القوى التي حاولت أن تعرقل التطور القومي في كل من ايطالية والمانية . ومما لا شك فيه ان قضية الوحدة التي سيطرت على تفكير القادة المؤسسين « لكتائب الفداء العربي » كانت قد تأثرت الى حد بعيد بكل من تجربة الوحدة الايطالية والوحدة الالمانية (٩) .

وحيث انه سبق لبعض قادة « الكتائب » — وبخاصة المصريون منهم — خوض تجربة تشكيل وقيادة منظمة « القمصان الخضراء » بزعامة أحمد حسين (١٠) ، فقد كان امرا طبيعيا ان يطرح هؤلاء القادة المبادىء الفكرية والبناء التنظيمي لمنظمتهم الفتية شبه العسكرية السابقة التي كانوا قد انشأوها على غرار المنظمات الفاشية . والواقع ان قادة « الكتائب » اقتبسوا منهج احمد حسين ومبادئه الاساسية عندما اختاروا استراتيجيتهم وتكتيكهم . ومن ضمن ما اقتبسه الكتائبيون عن جهاز « القمصان الخضراء » البناء التنظيمي الذي كان ذا فائدة خاصة في فترة العمل السري . وهكذا بدأ القادة المؤسسون « لكتائب الفداء » بناء وحداتهم العسكرية معتمدين نظام العلاقات العمودية والانضباط التام على غرار ما كان سائدا في منظمة « القمصان الخضراء » .

ومما لا شك فيه ان « الكتائب » تأثرت بالعديد من الافكار التي شربها احمد حسين . غير انه في حين أكد الاخير على أهمية الوطن (بمعنى

---

(٧) — مقابلة مع هاني الهندي بتاريخ ٢٠ حزيران — يونيو ١٩٧٠ .

(٨) — مقابلة مع جهاد ضاحي بتاريخ ٢٠ حزيران — يونيو ١٩٧٠ .

(٩) — المصدر ذاته .

(١٠) — الهندي ، المصدر ذاته .

مصر) ، كانت « الكتائب » منظمة عربية ذات نظرة اوسع وابعاد وتطلعات تتخطى الحدود الاقليمية . ولهذا جندت « الكتائب » في صفوفها مناضلين من سورية ولبنان وفلسطين والعراق ومصر (١١) .

هذا وقد ساهمت ظواهر اخـــرى في تكوين « الكتائب » ونخص بالذكر تراجع الاحزاب القومية التي اسسها الرعيل الاول مـــن جهـــة ، وازدياد قوة بعض الاحزاب الصدامية (مثل الحزب القومي السوري والاخوان المسلمين) ، التي اعتبر الكتائبيون افكارها معادية للقضـــية العربية من جهة ثانية . ولكن الشباب المتطرف لم يعر هذه الظواهـــر اهمية كبيرة ، واندفع بعد هزيمة ١٩٤٨ مباشرة ، في طريق تنظيم نفسه في مجموعات ثورية سرية . ومن المعتقد ان ايا من قادة « الكتائب » لـــم يكن مهتما في ذلك الحين بالكسب السياسي او بمنافسة الاحزاب الموجودة آنذاك . فقد كانت « الكتائب » ، في نظر مؤسسيها ، نوعا من « جماعة ضاغطة » مهمتها التأثير على الصفوة الحاكمة ، عن طريق ارعابها اذا اقتضى الامر ، لترفض اي صلح مع اسرائيل كخطوة اولى والتهيؤ لتصفيتها في جولة أخرى (١٢) . وكان هؤلاء القادة مقتنعين بعدم جدوى احتجاجات ومظاهرات أحزاب المعارضة من جهة ، وبأنه لا مفر من القيام بأعمـــال عنف ضد الانهزاميين والمتعاونين مع الصفوة الحاكمة من جهة ثانيـــة . وقد قال هاني الهندي فيما بعد : « كنا ساذجين اذ اعتقدنا بأن بضـــع رصاصات في رؤوس الخونة أمثال الملك عبدالله كافية لخلق موقف ثوري . وعلى كل حال فقد كانت المجموعة مستعدة للاستفادة من اي ســـــلاح من شأنه أن يساعد على تطوير روح التحدي لدى شعبنا » (١٣) .

على صعيد آخر ، تشكلت خلال هذه السنوات الحاسمة ــ وبمحض الصدفة ــ ثلاث مجموعات صغيرة ضمت كل واحدة منها عددا قليلا من الشباب العربي المتطرف . وقد انهمكت هذه المجموعات في ممارســـة نشاطات ثورية سرية من النوعية ذاتها التي صبغت نشاطات « الكتائب » لاحقا (١٤) . وقد ضمت المجموعة الاولى في صفوفها عددا من المثقفـــين

---

(١١) ــ مقابلة شخصية مع جورج حبش بتاريخ ٢٤ حزيران ــ يونيو ١٩٧٠ .

(١٢) ــ ضاحي ، المصدر ذاته .

(١٣) ــ الهندي ، المصدر ذاته .

(١٤) ــ تعتمد كل الحقائق الواردة على الصفحات التالية من هـذا الفصـــل على المقابلات الشخصية المشار اليها أعلاه مع جورج حبش وهاني الهندي وجهاد ضاحي .

الثوريين من بين طلاب وخريجي الجامعة الاميركية ببيروت . وقد عكست هذه المجموعة الوحدة العربية في كفاحها ضد الصهيونية بمعنى استقطابها مناضلين من عدد من الاقطار العربية . ولقد كان هؤلاء بورجوازيين في نشأتهم وثوريين في معتقداتهم . وكان جورج حبش وهاني الهندي القائدان البارزان لهذه المجموعة ــ قد نجحا في تكوين « الكتائب » بالشكل الذي ارتأياه .

كان جورج حبش بطبيعته شديد الفعالية ، كثير النشاط ومليئــــا بالافكار منذ ان التحق بالجامعة الاميركية ببيروت كطالب في كلية الطب . ومع انه كان دوما متفوقا على زملائه في الدراسة ، فانه كان زعيما طلابيا نشطا . وعندما اندلعت الحرب العربية ــ الاسرائيلية (١٩٤٨) ، لم يتردد في الانضمام الى « جيش الانقاذ » ، الجيش الفلسطيني غير النظامي . وكانت العناية بالمرضى احدى المشاكل الرئيسية التي واجهته قبل أن يكون قد تلقى تدريبا كافيا في هذا المضمار . وبالرغم من انه كان لا يزال طالبا الا انه كان يعامل مرضاه بطريقة تجعلهم يحسون معها أن معاناتهم هــي معاناته . وقد علق ، فيما بعد ، على ذلك قائلا : « لقد كانت مهمة مؤلمة وبائسة » . وعندما عاد جورج حبش الى الجامعة بعد الحرب لاحــظ زملاؤه انه لم يعد ذلك الشاب المرح الذي عرفوه في الماضي . وكان حبش اقل اهتماما بنشاطاتهم التقليدية التي لم تتصف بالتضحية ، وممتلئــا بالافكار الجديدة التي طالما رغب في أن يوضحها . وقد وجــد في هــاني الهندي الرجل الذي يبحث عن قضية تتطلب التضحية . وما ان اجتمعا حتى ظهرت الى حيز الوجود خطة تشكيل التنظيم الارهابي .

ولد هاني الهندي في بغداد في العام ١٩٢٧ حيث كان والده السوري المقدم محمود الهندي يعمل في صفوف الجيش العراقي . وقد نشأ هاني في بيت تسوده الروح القومية . وان المقدم محمود الهندي ــ المعروف بحماسه القومي ــ اراد ان يربى ابنه تربية قومية عربية ، واتيح لهاني ان يتعرف ، منذ صغره ، على الافكار القومية العربية . ومن خــلال نشاطات والده الثورية ضد الانكليز والملكية ، اطلع هاني ، في سن مبكرة ، على معظم محاسن ومساوىء الحركة الثورية . وبعد أن تم تسريح والده من الجيش العراقي ، في اعقاب انقلاب ١٩٤١ الفاشل ، انتقل هاني مع عائلته الى دمشق . وبعد ان انهى دراسته الثانوية في الكلية الوطنيــة في « الشويفات » بلبنــان التحق بالكلية الاميركية في حلب بسورية . وبالرغم من انه لم يكن قد تجاوز التاسعة عشرة من عمره ، كانت شخصيته محط اعجاب واحترام زملائه . فقد اتصف بالجد وحب العمــل وتأثــر اصدقاؤه بتجربته السابقة في العراق . وقد كانت معرفته بالحركة الثورية

العربية بصورة عامة . وبالسياسة العراقية بصورة خاصة . « شيئا عظيما » بالنسبة الى الدكتور نديم البيطار الذي كان حينئذ زميلا له في الكلية الاميركية (١٥) . ولعل ذكريات هاني الحية عن الحركة العربية الوطنية في العراق وعن نشاط الضباط العرب هناك — التي كانت محور جذب لزملائه الطلبة — ساهمت في جعل الكثيرين منهم ينضمون الى مجموعته ويساهمون في زيادة فعالياتها . وقد أكد جهاد ضاحي . احد زملاء هاني الهندي بأنه — مع بقية زملائه — تأثر كثيرا بحماس هاني وبتعلقه بالقضية العربية . ومما قاله ضاحي : « لقد كنا بلا شك متأثرين بهاني الذي سحرنا بايمانه ولباقته وشخصيته » .

لقد كان طبيعيا لرجل بمثل هذه الصفات ان يقطع دراسته في سبيل خدمة قضيته . وبالفعل كان هاني في طليعة المتطوعين للخدمة في صفوف القوى العربية غير النظامية عندما اندلعت نار الحرب العربية — الاسرائيلية الاولى . وفي ميدان القتال ، اكتشف هاني اللامبالاة التي اتسم بها موقف القادة العرب كما واكتشف عجز جيوشهم المجزاة . ولكن تصميمه ووطنيته لم يمنعاه من أن ييأس بسبب الهزيمة التي مني بها العرب فحسب ، بل واصبح اكثر اقتناعا من ذي قبل بأنه يمكن للعرب — بل يجب عليهم — أن ينتصروا في الجولة القادمة .

وفي الجامعة الاميركية ببيروت بدأ جورج حبش وهاني الهندي بحث خططهم لتنظيم مجموعة ارهابية . وقد تضمن الحد الادنى لبرنامجهم اغتيال القادة العرب الذين أبدوا آنذاك استعدادا للصلح مع اسرائيل (كملك الاردن عبدالله ورئيس وزراء العراق نوري السعيد) بالاضافة الى ضرب المصالح الغربية والصهيونية ونسف الهدنة مع اسرائيل . وهما بهذا لم ينظرا لنفسيهما كمخاطرين وانما كطليعة ثورية أخذت على عاتقها توعية الراي العام من خلال « أعمال بطولية وتضحية بالنفس » من اجل تسليط الاهتمام على المشكلة الفلسطينية .

ومما زاد في حدة خيبة أمل الشباب العربي بالانظمة العربية ، فشل جامعة الدول العربية في جمع شمل الدول الاعضاء لمواجهة التهديد الصهيوني . ولهذا اندفع الشباب العربي ، نتيجة موقف الانظمة العربية المتعنت ضد اي عمل وحدوي حقيقي ، في اتجاهات اكثر تطرفا . وفي هذه الظروف بدأ جورج حبش وهاني الهندي تجنيد أعضاء منظمتهم السرية الارهابية .

---

(١٥) — قول للدكتور نديم البيطار في مقابلة شخصية بتاريخ ٢٨ تموز — يوليو ١٩٦٨ .

وما كادت المجموعة تصبح مهيأة للعمل مع انتهاء العام ١٩٤٨، حتى اكتشف هاني الهندي . من خلال اتصالاته في سورية ، وجود مجموعتين مماثلتين في دمشق : ففي حين ضمت المجموعة الاولى جهاد ضاحي – صديق هاني الهندي وزميله في الكلية الامريكية بحلب ، وتشكلت المجموعة الثانية من عدد من اللاجئين السياسيين المصريين . وقد رأت مجموعة بيروت انه من الحكمة عدم البدء بأية أعمال عنف الا بعد أن تجتمع المجموعات الثلاث . وكلف هاني الهندي الدخول في محادثات مع المجموعتين الاخريين في سبيل تنسيق أعمالهم وتوحيد المجموعات الثلاث في منظمة واحدة .

لم يجد هاني الهندي اية فوارق جوهرية بين مجموعته و « المجموعة السورية » . وكانت الاخيرة مكونة من عدد من المناضلين الشباب (في أوائل العشرينات من اعمارهم) ومعظمهم طلاب في الجامعة السورية . وكان قادة هذه المجموعة سوريين ينتمون الى الطبقة المتوسطة . وقد صادف مولد معتقداتهم الثورية مع مولد اسرائيل حيث منعهم كبرياؤهم من الاعتراف بالهزيمة ، وكانت منظمتهم بمثابة تعهد من جانبهم لمحاربة التهديد الاسرائيلي . وقد اعربت هذه المجموعة عن استعدادها التام للاندماج مع مجموعة بيروت .

كانت الخطوة التالية التي خطاها هاني الهندي (مع « المجموعة المصرية ») في سبيل توحيد المنظمات الارهابية عملا أكثر صعوبة اذ كان التعامل . في هذه الحالة ، مع « ارهابيين محترفين » لهم تجربة سابقة في مصر . ومن هذه الزاوية ، اكتسبت « المجموعة المصرية » اهمية خاصة في اعين « الارهابيين الهواة » في المجموعتين السابقتين . وقد اتصل هاني الهندي بهذه المجموعة من خلال حسين توفيق ، الارهابي الشاب الذ كان متهما باغتيال عثمان امين ، الوزير المصري السابق(١٦) . ولأن حسين توفيق كان وطنيا انصب كل تفكيره في اتجاه واحد هو ممارسة الارهاب . فلم يشعر بالارتياح نحو رجال الفكر . وقد عاني الهندي كثيرا اثناء محاولته اقناعه بضرورة وضع برنامج سياسي للمنظمة . وقد اقترح توفيق ، بدلا من ذلك ، سلسلة من المخططات تقوم بتنفيذها قوى مشتركة من المجموعات الثلاث . واستمرت المناقشة بين الطرفين فترة من الزمن الى أن تقرر

---

(١٦) – أنظر :

Patrick Seale, The Struggle for Syria (London: Oxford University Press, 1965), p. 98.

عقد اجتماع يحضره ممثلون عن المجموعات اياها من اجل التغلب على الصعوبات .

التقى هؤلاء الممثلون في آذار — مارس ١٩٤٩ . وقد مثل مجموعة بيروت كل من جورج حبش وهاني الهندي في حين مثل جهاد ضاحي المجموعة السورية وقام حسين توفيق بتمثيل المجموعة المصرية . وقد تم ، في هذا الاجتماع ، حل كافة القضايا المعلقة كما تم انتخاب قيادة ثلاثية جديدة من هاني الهندي وجهاد ضاحي وحسين توفيق . ولقد اعطيت هذه القيادة صلاحية اتخاذ الخطوات اللازمة من اجل توحيد المجموعات الثلاث تحت اسم « كتائب الفداء العربي » . واتسعت هذه القيادة فيما بعد لتشمل جورج حبش وعبد القادر امير . وكان الاخير قد اتهم بالقاء قنبلة يدوية على النادي البريطاني في الاسكندرية ولكنه هرب مع زميليه مصطفى كمال الصنفراوي وعبد الرحمن مرسي من السجن ولجأوا الى سورية .

وفي حين تبنت « الكتائب » البرنامج السياسي الذي وضعته مجموعة بيروت مع التأكيد على اهداف الوحدة العربية وتحرير فلسطين ، قامت المجموعة المصرية — ذات الخبرة العملية في النشاط السري — بمد المنظمة الجديدة بأدوات ومفاهيم تنظيمية عظيمة الفائدة .

وقد انتظرت القيادة الجديدة اربعة شهور قبل ان تشن هجومها الاول . ففي ٦ آب — أغسطس ١٩٤٩ هاجم رجال « الكتائب » المسلحون معبدا لليهود في دمشق وتسببوا في مقتل ١٢ وجرح ٢٧ شخصا . ومن المعتقد ان « الكتائب » شنت هجومها هذا احتجاجا على مفاوضات السلم الفلسطينية تحت اشراف لجنة الصلح التابعة للامم المتحدة في لوزان بسويسرة . وكانت قيادة « الكتائب » قد أصدرت أمرها بالهجوم من اجل عرقلة مفاوضات لوزان وتفشيل مفاوضات سورية القطرية فيما يتعلق بتوطين اللاجئين الفلسطينيين بالاضافة الى وضع العصي في عجلة التطورات الاخرى التي دلت على ان فترة الصراع مع اسرائيل قد توشك على الانتهاء (١٧) . وقد صرحت « الكتائب » فيما بعد بأن احد الاسباب التي دعت الى شن الهجوم على المعبد هو انه كان مقرا لاجتماع منظمة سرية صهيونية ومخبأ للسلاح (١٨) .

---

(١٧) — راجع :

Albian Boss, «Syrian Synagogne Bombed», **The New York** Times, August 7, 1949, p. 1.

(١٨) — الهندي ، المصدر ذاته .

وفي ٦ تشرين ثاني ــ نوفمبر ١٩٤٩ ، هاجم رجال « الكتائب » المقدم سترلنك ــ مراسل « التايمز » وموظف سياسي بريطاني سابق في شؤون القبائل ــ في منزله واصابوه بجراح في الصدر (١٩) . وقد فسرت قيادة « الكتائب » محاولة الاغتيال هذه على اساس ان المقدم سترلنك كان واحدا من اهم ضباط المخابرات البريطانيين في سورية خلال حكم الحناوي (٢٠) .

ومن أعمال العنف الاخرى التي قامت بها الكتائب : وضع قنابل في مدرسة (الاليانس) في بيروت في نفس الوقت الذي هوجم فيه المعبد اليهودي في سورية وللاسباب ذاتها على ما يبدو ؛ رمي القنابل اليدوية اكثر من مرة على كل من مفوضيات بريطانية والولايات المتحدة في كل من بيروت ودمشق وذلك تعبيرا عن العداء المتزايد نحو السلطات الغربية ؛ بالاضافة الى الهجوم بالقنابل على مقر وكالة الغوث التابعة للامم المتحدة في دمشق بسبب محاولتها توطين اللاجئين الفلسطينيين في البلاد العربية . غير ان المخططات لاغتيال الملك عبدالله ونوري السعيد ــ اللذين اعتبرا مسؤولان عن هزيمة الجيوش العربية اكثر من غيرهما ــ لم تظهر الى حيز التنفيذ .

لقد نفذت العمليات المذكورة اعلاه بموافقة كافة أعضاء قيادة « الكتائب » باعتبارها اهداف شرعية تقع ضمن مجال عمل المنظمة . الا انه بحلول صيف ١٩٥٠ قام صراع داخل المنظمة حول دور العنف في النضال القومي . فقد أصر حسين توفيق وعبد القادر امير وبقية الارهابيين المصريين ــ الذين كان ماضيهم حافلا بمختلف انواع العنف ــ على ان الجماهير العربية غير مستعدة بعد للثورة ولن تكون كذلك لسنوات طوال. ودافعوا عن وجهة نظرهم قائلين : « ان السبيل الوحيد الممكن والملائم للنضال في مثل هذه الظروف هو العنف السياسي » . ومع ان بقية اعضاء المجموعة اتفقوا معهم على أن الجماهير غير مستعدة للثورة ، الا انهم رفضوا الاعتماد كلية على الاساليب التآمرية وطالبوا ، بدلا من ذلك ، بتوعية الجماهير لكي تقوم بدورها في النضال في سبيل التحرر . والواقع ان هؤلاء كانوا قد لجأوا الى العنف من اجل تصوير القضايا السياسية الراهنة بشكل ماساوي وكان هدفهم توعية الجماهير عن طريق عمليات

---

(١٩) ــ انظر : Seale, loc. cit.

(٢٠) ــ الهندي وضاحي ، المصدر ذاته .

بطولية . فقد قال جورج حبش فيما بعد : « لم يكن في نيتنا الاعتماد على حفنة من المتآمرين كبديل لحركة الجماهير » . وكدليل على ذلك اكد جورج حبش بانه اتصل ، في تلك الفترة ، بميشيل عفلق ـ قائد البعث ـ وطرح عليه فكرة قبول « الكتائب » جناحا عسكريا لحزب البعث . وبهذا الصدد قال حبش : « لقد اردنا ان نعطي البعث اسنانا ولكن قيادته خذلتنا اذ طلب منا عفلق ان ننضم الى الحزب اولا وعندئذ فقط يمكنه ان يدرس مقترحاتنا » (٢١) . وقد رفضت « الكتائب » حل نفسها بعد ان تبين لها عدم جدوى المشاركة في اللعبة السياسية من خلال نظام يعمل على تثبيت الحكام في مواقع السلطة .

هذا وقد بلغ الصراع بين « الكتائب » ككل وبين الجزء المصري فيها ذروته عندما قبلت المجموعة المصرية التعاون مع بعض السياسيين السوريين لوضع خطة لاغتيال الزعيم اديب الشيشكلي واكرم الحوراني . وقد اعترض معظم قادة « الكتائب » على سذاجة زملائهم وتوجههم الخاطىء ورفضوا الاقتراح كلية وطالبوا بمحاسبة الذين قاموا بالتعامل مع السياسيين السوريين على تصرفهم غير المنضبط ورأوا ان مثل هذه الاعمال الارهابية العشوائية قد تؤدي الى الاضرار بقضيتهم وتجعل من منظمتهم منظمة طائشة مهددة بالانهيار من الداخل . وفي وجه هذه المعارضة قررت مجموعة الارهابيين المحترفين المصريين الانفصال عن المنظمة الام لتصبح حرة في تطبيق فلسفتها الداعية الى «العنف من اجل العنف » . وبعد مضي شهور قلائل قاموا بتنفيذ خطتهم لاغتيال الزعيم الشيشكلي . وادت هذه المحاولة الفاشلة على حياة معاون رئيس اركان الجيش السوري الى كشف المنظمة السرية وضربها (٢٢) .

الحركة الوليدة
١٩٥١ ـ ١٩٥٤

لا شك في ان « الكتائب » لعبت دورا في تسليط الاضواء على القضية الفلسطينية . كما انها ساعدت ، الى حد ما ، في رفع المعنويات التي انهارت على اثر هزيمة الجيوش العربية في فلسطين . الا ان ما

---

(٢١) ـ وهذه المعلومات مستقاة من مراسلات شخصية بين المؤلف والدكتور جورج حبش .

(٢٢) ـ انظر : Seale, loc. cit.

حققته « الكتائب » لم يرتفع الى مستوى تطلعات قادتها المؤسسين . ولقد كانت محاولة اغتيال الزعيم اديب الشيشكلي مغامرة انتحارية . لا للمجموعة المنشقة التي قامت بها فحسب . وانما للمنظمة الام التي تعرضت لملاحقة الشرطة على اثر اعترافات حسين توفيق الذي اعتقل واتهم بمحاولة الاغتيال (٢٣) .

لقد كانت تجربة جديدة ومؤلمة للقادة القلائل الذين نجحوا في الهرب. فقد كان على هؤلاء ان يواجهوا الموقف الجديد ويتغلبوا على المشاكل التي تجابههم خاصة وانه اصبح من العسير القيام بأي تحرك بعد ان انكشف جهاز المنظمة امام الشرطة . وعلى ضوء ذلك تحتم عليهم أن يختاروا احد أمرين : اما أن يعيدوا بناء المنظمة من جديد ؛ واما ان يتحولوا من سياسة الارهاب الى النضال الجماهيري . واخيرا جاء القرار في صالح فكرة التحول الى النضال الجماهيري رغم معارضة بعض المغامرين الذين أصروا على ضرورة القيام بأعمال انتقامية ضد السلطة الجائرة (٢٤) . ومما تجدر الاشارة اليه هنا ان جورج حبش كان من اول الذين تبرأوا من الخط القديم الذي كان قد دعا اليه في الماضي . ويعتقد ان هذا التحول لم يتم فجأة . فقد أخذ جورج حبش يعيد النظر في جدوى وجود وعمل « الكتائب » منذ العام ١٩٥٠ . ففي احدى اجتماعات القيادة — كما يروي جهاد ضاحي — شكا جورج حبش من ان الحركة لم تشق طريقها في صفوف الجماهير بالشكل المطلوب وتساءل عما اذا كانت هنالك فرصة لاحراز نجاح اعظم باتباع وسائل اخرى (٢٥) .

وكان من الطبيعي بعد أن انكشف امر المنظمة السرية واعتقل مناضلوها ان يقف جورج حبش الى جانب توجه المنظمة نحو النضال الجماهيري ورفض المضي في طريق المغامرات الارهابية . ولكن هذا التحول في موقف حبش لم يحظ بتأييد كافة «الكتائبيين» اذ حاول بعض المغامرين دفع المنظمة باتجاه مغاير . ومن المهم معرفته بهذا الصدد أن كافة نشاطات

---

(٢٣) — أنظر :

«Syria Accuses 21 of the Terrorist Acts», the **New York Times**, November 13, 1950, p. 11.

(٢٤) — مقابلة شخصية مع مطلع لم يرغب في ذكر اسمه بتاريخ ٢٨ حزيران — يونيو ١٩٧٠ .

(٢٥) — مقابلة شخصية مع جهاد ضاحي بتاريخ ٢٨ كانون اول — دسمبر ١٩٦٨ .

« الكتائب » توقفت بعد المحاولة الفاشلة على حياة الزعيم الشيشكلي وان المنظمة حلت كلية قبل نهاية العام ١٩٥٠ .

وبحل « الكتائب » ، انصرف جورج حبش كلية نحو بناء منظمة للنضال الجماهيري . وقد اصبحت الجامعة الامريكية ببيروت ، مرة ثانية ، مجالا لنشاطه بحكم كونه معروفا هناك ومحترما بسبب الاعمال التي قام بها اضافة الى وجود عدد من الاصدقاء القدامى الذين يثق بهم ويعتمد عليهم . ولم تكد تمضي سوى اسابيع قلائل على بدء عمله حتى نجح في اجراء الاتصالات اللازمة لتمكينه من الدخول في معركة جامعة الوطنيس لانتخاب اللجنة التنفيذية « لجمعية العروة الوثقى » * . ولدهشة الجميع ، نجح جورج حبش ومجموعته من القوميين العرب في الفوز على كل من الشيوعيين والقوميين السوريين . ومن هنا فصاعدا اصبح جورج حبش معروفا بتصميمه الحديدي على بناء منظمة سياسية فعالة .

وفي الوقت الذي بدأ فيه القوميون العرب نشاطهم ، كانت الجامعة الامريكية ميدانا لعمل عدد من المجموعات المهمة :

فهنالك اولا الطلاب الشيوعيون الذين يشكلون مجموعة منظمة ومنضبطة . وقد فكر القوميون العرب في الدخول معهم في جبهة اذ كانوا قد أعجبوا بالدور القيادي الذي لعبه الشيوعيون العراقيون في الانتفاضة الوطنية التي اجبرت صالح جبر على الاستقالةوادت الى الغاء معاهدة بورتسموت في العام ١٩٤٨ (٢٦) . كما انهم تأثروا بالنجاح الكبير الذي حققه الشيوعيون في الصين بحيث اعتبروا الشيوعيين العرب قوة ثورية يجب الا تستبعد من ساحة النضال الوطني . وعلى هذا الاساس دخل القوميون العرب في مباحثات مع الشيوعيين بهدف التوصل الى صيغة للتعاون . ولكن المباحثات سرعان ما انهارت بسبب موقف الشيوعيين من القضية الفلسطينية . فقد تمسك الطلبة الشيوعيون بالخط الرسمي للاحزاب الشيوعية الخاص بتأييد قرار التقسيم الصادر عن الامم المتحدة . وبحكم الموقف المتصلب للقوميين

---

* تأسست « جمعية العروة الوثقى » في اوائل الثلاثينات وكانت جمعية ادبية ولكنها تحولت فيما بعد الى جمعية سياسية قومية .

(٢٦) — أنظر :

Walter Laquer, Communism and Nationalism in the Middle East (New York: Praeger, 1956), p. 193.

العرب ازاء هذه القضية ، لم يجدوا ايـــة نقاط التقاء بينهم وبـــين الشيوعيين (٢٧) .

اما المجموعة السياسية الثانية العاملة في ساحة الجامعةالامريكية ببيروت ـ والتي كانت تلي الشيوعيين من حيث الاهمية ـ فهي مجموعة القوميين السوريين . ولم يجد القوميون العرب اية امكانية للتعاون مع هذه المجموعة اذ وجدوا في مبدا القومية السوريةتعارضا تاما مع فكرهم القومي . وقد اعتبروا القومية السورية خطرا يهدد الدعوة الى الوحدة العربية الكاملة كما وسموا تلك القومية بالشعوبية (٢٨) .

هذا وقد شكل البعثيون المجموعة الثالثة من حيث الاهمية في ساحة الجامعة الامريكية ببيروت . ومع انه كان امرا طبيعيا ان يتعاون القوميون العرب مع هذه المجموعة ذات الافكار المشابهة ، الا انهم ابدوا تحفظات تجاه البعث . فمن ناحية ، شعر القوميون العرب بحاجة الى تمييز سياساتهم واساليبهم الخاصة انطلاقا من القضية الفلسطينية . وارادوا ان يعطوا الاولوية لقضية الوحدة اذ ضاعت فلسطين ـ حسب اعتقادهم ـ بسبب ضعف الدول العربية وتجزئتها . وكان من المنطقي لاولئك الذين ارادوا تحدي التهديد الصهيوني ان يجدوا في الوحدة قوة . ولكن البعثيين لم يستجيبوا لمطلب القوميين العرب في جعل قضية الوحدة الهدف الاول لنضال الجماهير واكدوا على قضيـــة الاشتراكية باعتبارها مساوية لقضية الوحدة في الاهمية ودعوا ، بالتالي ، الـــى توجيه ضربة مزدوجة ، وفي وقت واحد ، للنفوذ الاجنبي والاستغلال المحلي (٢٩) .

هذا ولم يشعر القوميون العرب بالارتياح لانهماك البعثيين المتزايد في السياسات المحلية للدول العربية . وقـــد ادى دخول البعثيين

---

(٢٧) ـ مقابلة مع الدكتور جورج حبش بتاريخ ٢٤ حزيران ـ يونيو ١٩٧٠ .

(٢٨) ـ راجع :

Labib Zuwiyya Yumak, **The Syrian Social Nationalist Party** (Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 1966), p. 3.

(٢٩) ـ انظر :

Nessim Rejwan, «Arab Nationalism in Search of an ideology», in Walter Z. Laqueur (ed.), **the Middle East in Transition** (New York: Praeger, 1958), pp. 155-157.

السوريين في اللعبة البرلمانية الى اغاظة القوميين العرب الذين لم يؤمنوا بجدوى النظام البرلماني . وقد اساء البعث . في نظر القوميين العرب. الى القضية الثورية بسبب مشاركته في هذه «المؤسسات السطحية». واعتبروا ذلك الهاء عن ممارسة العمل الصعب الذي يهدف الوصول الى الجماهير وتنظيمها ومشاركتها من اجل بناء حركة صلبة للنضال (٣٠). كما لاحظ القوميون العرب تعارض الاشتراكية مع مبدأ البعث الليبرالي. وقالوا انه لن تكون هناك اشتراكية في العالم العربي ما لم يتم سحق الملاكين والبورجوازيين سحقا تاما (٣١).

وبالرغم من ان البعث مثل انطلاقة جذرية بالمقارنة مع الاحزاب القومية السابقة من حيث البناء التنظيمي . لم يعتقد القوميون العرب بأنه نجح حقا في حل الازمة التنظيمية في الحركة العربية القومية . والواقع انه كان للبعث حصته من الانقسامات الناجمة عن عوامل فكرية وشخصية وجغرافية . فقد كان فيه . بالاضافة الى «المدرسة القومية» لميشيل عفلق وصلاح الدين البيطار . جناح ماركسي بقيادة جمال الاتاسي وجناح اردني بقيادة عبد الله الريماوي (٣٢) . وقد ادت هذه الانقسامات الى الحد من سلطة قيادة الحزب بحيث فشل في ان يكون المثل الاعلى في أداء العمل وفي تحقيق الاهداف السياسية .

واخيرا طعن القوميون العرب في النزعة البادية لدى البعثيين باتجاه تقديس الافراد واعتقدوا بحق ان تعظيم أي قائد سيؤدي بالتأكيد الى دفع الجماهير والحزب للوراء . كما القى القوميون العرب ظلالا على محاولة عفلق رفع البعث الى مرتبة يعتبر معها الحزب غاية في حد ذاته (٣٣) . واصروا على ان الحزب ، أو اية منظمة من هذا النوع ، يجب الا تتعدى كونها احدى السبل أو الوسائل المستخدمة لتحقيق الهدف .

وهكذا ، وبعد ان لاحظ القوميون العرب هذه المآخذ على البعث،

---

(٣٠) — رأي طرحه الدكتور جورج حبش في دورة تدريبية للاعضاء المتقدمين في « حركة القوميين العرب » بتاريخ ٢٢ كانون اول — ديسمبر ١٩٥٩ .

(٣١) — المصدر ذاته .

(٣٢) — اللجنة التنفيذية لحركة القوميين العرب ، « تعميم حول التطورات الاخيرة في حزب البعث » ، أيلول — سبتمبر ١٩٥٩ ، ص ١ — ٤ .

(٣٣) — ميشيل عفلق ، في سبيل البعث (بيروت : دار الطليعة ، ١٩٥٩) ص ٢٩٩ .

قرروا في النهاية تشكيل منظمتهم المستقلة .

وقد اخذ جورج حبش زمام المبادرة في اوائل العام ١٩٥١ عندما تقدم باقتراح الى اعضاء اللجنة التنفيذية «للعروة الوثقى» دعا بموجبه الى قيام منظمة سرية قومية جديدة تكون اللجنة التنفيذية للعروة نواة لها . وقد استجاب للاقتراح كافة الاعضاء(٣٤) اذ شعروا جميعا بالحاجة الى تأسيس منظمة ثورية سرية تواصل النضال ضد الانظمة القائمة وخارج اطارها من اجل تحقيق الاهداف القومية .

لم يكن لدى الحركة الجديدة التهيؤ الفكري الكافي قبل التأسيس كما لم يتوفر لها الوقت اللازم لدراسة النظرية بعد . وسبب ذلك كونها انغمست حالا في تنظيم النضال الجماهيري . ولذلك جابهت الحركة الجديدة وقيادتها مصاعب جمه اثناء العمل وساروا احيانا في منعطفات جانبية غير ضرورية . فقد اضطر القادة المؤسسون – تحت ضغط الظروف – الى الاسراع في تكوين برنامج سياسي على مرحلتين :

المرحلة الاولى – وتهتم بالنضال السياسي الذي يهدف الى التخلص من الصهيونية والامبريالية في الوطن العربي والى خلق دولة عربية موحدة تضم الشعب العربي من الخليج الى المحيط الاطلسي .

والمرحلة الثانية – وتهتم بالنضال الاقتصادي الذي يمهد الطريق للاشتراكية العربية وللديمقراطية (٣٥) .

وقد فشل هذا البرنامج البسيط في سد الحاجة الماسة الى « فكر عربي » واظهر ضعف الحركة الجديدة وعدم نضجها (٣٦) . كما وكان هذا البرنامج عرضة لنقد المجموعات الاخرى وخاصة البعث الذي انتقد بصورة خاصة تجزئة النضال الى مرحلتين واضحتين تقود احداهما الى الاخرى . واكد البعث انه لا يمكن تحقيق الاهداف

---

(٣٤) – كان هاني الهندي حينئذ يقضي مدة محكوميته في السجن بسبب نشاطه مع « الكتائب » . وقد عاد فالتقى بالمجموعة حال الافراج عنه في أيار – مايو ١٩٥١ .

(٣٥) – الحكم دروزه وحامد الجبوري ، مع القومية العربية (بيروت : دار الفجر الجديد ، ١٩٦٠) ، ص ١٧٨ – ١٨٦ .

(٣٦) – أنظر :

Rejwan, «Arab Nationalism in Search of an ideology», in Laqueur (ed.), op. cit., p. 157.

السياسية والاجتماعية كلا على حدة وانه يجب ان يسير الصراع على الجبهتين في آن واحد : على الجبهة الخارجية ضد الصهيونية والاستعمار . وعلى الجبهة الداخلية ضد السياسة التقليدية والتركيب الاجتماعي والمدافعين عنهما (٣٧) .

من الواضح ان القوميين العرب تبنوا فكرا مثاليا كان عرضة للنقد على اساس انه فكر يناقض نفسه بالاضافة الى كونه فشل في التعامل مع الظروف الموضوعية في الوطن العربي . ففي غمرة حماسهم لتحقيق الاهداف السياسية. فشل القوميون العرب في رؤية القوى الاجتماعية التي يجب تنظيمها والاعداء الذين يجب سحقهم . وقد اعترف محسن ابراهيم ـ أحد القادة السابقين ـ بأن القوميين العرب لم يدركوا في ذلك الحين حقيقة القوانين التي تؤدي الى التغيير الاجتماعي (٣٨) .

وبالاضافة الى ذلك . لم يتطور الفكر المذكور اعلاه حسب خطة مسبقة وانما تحكمت فيه عدة ظروف تاريخية غير اعتيادية كانت خارج نطاق ارادة القادة المؤسسين . فما كاد الكادر الاولي يعتاد على مواجهة الهجمات التي كانت تشنها عليه عدة قوى سياسية ـ ومن ضمنها البعث ـ حتى بدأ القوميون العرب يكيفون انفسهم وفقا لمقتضيات النضال السياسي الموضوعية ولهذا جهد القوميون العرب منذ العام ١٩٥٤ لايضاح ان برنامجهم ذا المرحلتين قد أسيء فهمه بسبب الاعتقاد بوجود فصل ميكانيكي بين المرحلة السياسية والمرحلة الاجتماعية. ولهذا اكدوا على تشابك العلاقة بين المرحلتين بحيث تسمح المرحلة الاولى للحركة القومية بالنضال من اجل الاصلاحات الاقتصادية والاجتماعية في حين تستمر تلك الحركة في متابعة النضال السياسي (٣٩) . بل انهم ذهبوا خطوة أبعد من ذلك في اعقاب قيام الوحدة بين مصر وسورية . فقد أيدوا توجه عبد الناصر نحو التغيير الاقتصادي والاجتماعي للجمهورية العربية المتحدة على اساس انه يجب على الوحدة المصرية السورية ـ وهي نواة للدولة العربية الموحدة في المستقبل ـ ان تؤسس مجتمعا جديدا يستهوي الشعب العربي في كل مكان . الا ان القوميين

---

(٣٧) ـ منيف الرزاز ، لماذا الاشتراكية الان ؟

(٣٨) ـ ابراهيم ، لماذا منظمة الاشتراكيين اللبنانيين ؟ ص ١٧ ـ ١٨ .

(٣٩) ـ حركة القوميين العرب ، « المرحلة القومية الحاضرة وأهدافها » ، ص ١ـ٤ .

العرب ظلوا ملتزمين ببرنامجهم ذي المرحلتين في المناطق التي كان لا يزال فيها الطابع السياسي هو الطابع الرئيسي (٤٠) . ولكنهم سرعان ما عادوا فرفضوا هذا البرنامج كلية في ايلول-سبتمبر ١٩٦١ بعدما انفصلت سورية عن الجمهورية العربية المتحدة بتشجيع من البورجوازيين الذين اختار القوميون العرب عدم معاداتهم خلال المرحلة الاولى من برنامجهم السياسي (٤١) .

وكان قادة « الحركة » الوليدة محظوظين بوجود عدد كبير من طلبة الجامعة الاميركية المهتمين والراغبين في المشاركة في نشاطاتهم السياسية . وقد جاء معظم هؤلاء الطلبة من اوساط المشاركين النشطين في الحلقات الدراسية التي كان يعقدها الدكتور قسطنطين زريق ، الاستاذ البارز في الجامعة الاميركية ببيروت . وقد بدأ الدكتور زريق - « الاستاذ المستشار لجيل كامل من القوميين » (٤٢) - بتشكيل حلقات مناقشة لطلبة الجامعة منذ العام ١٩٤٧ وقد أوضح الدكتور زريق في هذه الحلقات أفكاره حول القومية والحركة القومية العربية . وبهذا تسنى للطلبة المشاركين في هذه الحلقات التعرف على نشوء وتطور الحركة القومية العربية . كما استطاعوا تنمية وعي خاص بالخطر الصهيوني الموضح في كتاب زريق « **معنى النكبة** » الصادر في أعقاب حرب ١٩٤٨ (٤٣) . وقد دعا الدكتور زريق الى نبذ الثقافة التقليدية واحلال الثقافة الغربية بمظاهرها العلمية مكانها وحث طلابه على العمل من اجل خلق دولة عربية موحدة ووضع ثقتهم في نخبة مخلصة تأخذ على عاتقها اجراء التغييرات اللازمة في المجتمع العربي (٤٤) . ولان

---

(٤٠) — حركة القوميين العرب ، « المرحلية على ضوء التطورات الفكرية في البلاد العربية » ، ص ١ — ٤ .

(٤١) — اللجنة التنفيذية لحركة القوميين العرب ، « التقرير السياسي » ١٩٦١ ، ص ١ — ١٠ .

(٤٢) — أنظر :

Albert Hourani, **Arabic thought in the Liberal Age**, 1798-1939 (London — Oxford University Press, 1962). p. 309.

(٤٣) — راجع : Zurayk, loc. cit.

(٤٤) — المعلومات حول حلقات الدكتور زريق مستندة الى مقابلات شخصية مع عدد من خريجي الجامعة الاميركية ببيروت والذين أصروا على عدم ذكر أسمائهم .

الدكتور زريق اكتفى بشرح المبادىء القومية دون اية محاولة من جانبه لتنظيم الطلبة في نشاطات سياسية ، بادر القوميون العرب واخذوا زمام المبادرة ودعوا للعمل بعض الاعضاء المشاركين في حلقات المناقشة خاصة اولئك الذين سبق لهم وان ابدوا نشاطا واستعدادا للمشاركة.

بدا القوميون العرب ، خلال الاشهر القليلة قبل نهاية العام الدراسي ، بتشكيل حلقاتهم التثقيفية بعد ان ضموا اليها العديد من طلبة الدكتور زريق الذين اثبتوا جدهم ونشاطهم . ولم يقتصر نشاط القوميين العرب على شرح الافكار القومية العربية في حلقاتهم التثقيفية بل اشركوا وشغلوا حاضريها بالنضال السياسي كذلك . وبات متوقعا من كل من انتمى الى هذه الحلقات ان يكون عضوا فعالا في « جمعية العروة الوثقى » وان يمارس دورا قياديا في نشاطاتها . كما كان متوقعا من الجميع الاسهام في بقية النشاطات السياسية التي يقوم بها القوميون العرب (٤٥) .

ومن المفيد ذكره هنا ان الدكتور زريق كان يقوم بدور المرشد للجنة التنفيذية « لجمعية العروة الوثقى » خلال العام الدراسي ١٩٥٠-١٩٥١ . وبذا كان على صلة وثيقة بالقادة المؤسسين « للحركة » . ولا شك في ان تأثيره على الشباب القومي العربي في تلك الفترة كان عظيما. والواقع ان مقالاته المجموعة في كتاب «**الوعي القومي**» ودراسته عن «**معنى النكبة**» كانا على راس قائمة الكتب المطلوب قراءتها في الحلقات التثقيفية الخاصة بالقوميين العرب. وكثيرا ما كان جورج حبش يستشير - بصفته نائب رئيس اللجنة التنفيذية للعروة - الدكتور زريق حول عمل الجمعية . وعدا ذلك ، لا يوجد اي برهان يدل على ان الدكتور زريق قد قام بلعب اي دور اخر مع القوميين العرب غير دور السلطة المعنوية . ومن المهم هنا توضيح العلاقة بين الدكتور زريق وبين القادة المؤسسين « لحركة القوميين العرب » . ذلك لانه كثيرا ما قبل ان

---

(٤٥) - ما لم يذكر خلاف ذلك ، تعتمد كافة المعلومات المتعلقة بالسنوات الاولى « لحركة القوميين العرب » بالدرجة الاولى على مقابلات شخصية للمؤلف مع الدكتور جورج حبش في ٢٤ حزيران - يونيو ١٩٧٠ ، هاني الهندي في ٢٢ حزيران - يونيو ١٩٧٠ ، الدكتور وديع حداد في ٢١ حزيران - يونيو ١٩٧٠ ، الدكتور احمد الخطيب في ١٢ تشرين ثاني - نوفمبر ١٩٦٨ وحامد الجبوري في ٦ اذار - مارس ١٩٦٨ بالاضافة الى اعضاء اخرين في القيادة الاصلية ممن لم يرغبوا في ذكر اسمائهم .

« الحركة » كانت امتدادا لمنظمة قومية سابقة هي « جماعة القوميين العرب » التي اسهم الدكتور زريق في تنظيمها في أواخر العشرينات. ومع انه لا مجال . في هذا البحث ، لتتبع تطورات هذه الجمعية ، فانه لمن المفيد الاشارة الى ان « جماعة القوميين العرب » هذه لعبت دورا مهما في تأسيس اكثر من منظمة قومية مثل « حزب فلسطين العربي » و « عصبة العمل القومي » التي ذكر تأثيرها على الحركة القومية العربية في الفصل الاول .

وعلى صعيد آخر ، كان لعلي ناصر الدين – احد القادة الاولين في « عصبة العمل القومي » – علاقة وطيدة بالقوميين العرب . ولعل تأثيره الفردي على التطور السياسي « للحركة » في مراحلها المبكرة . كان اعظم تأثير مورس عليها من الخارج . فقد وجد القوميون العرب في ناصر الدين رجلا ذا نزاهة فكرية عالية وصرامة معنوية حادة بالاضافة الى كونه نجح في تجسيد ما دعا اليه بثبات دون تكلف وبصفاء عقائدي خال من المنفعة الشخصية . وقد كان ناصر الدين السياسي المفضل لدى القوميين العرب بحكم انصرافه الى القضية العربية عامة والقضية الفلسطينية خاصة فاستمعوا اليه بحماس وتشوقوا دوما لسماع نصيحته . وثمة عدد من البراهين التي تؤكد ان ناصر الدين لعب دور « المرشد الروحي » لحركة القوميين العرب في أوائل الخمسينات.

ومن المعتقد انه حثهم – خلال هذه السنوات الاولى – على تأييد أية خطة تدعو الى الوحدة العربية بغض النظر عن الجهة التي تعمل من اجلها . ونزولا عند نصيحة ناصر الدين ، لم يعترض القوميون العرب على المشاريع البريطانية الساعية الى خلق « سورية الكبرى » و « الهلال الخصيب » باعتبار ان انجاز هذه المشاريع . اذا ما تم . سيعجل في التخلص من النفوذ الاجنبي عن طريق خلق دولة عربية كبرى (٤٦) . كما انه من المعتقد ان ناصر الدين كان وراء حملة المقاطعة التي قادتها « حركة القوميين العرب » ضد البضائع الاجنبية وجعلتها تشتهر بكونها اكثر المجموعات تعصبا في ساحة الجامعة الاميركية ببيروت .

ومما لا شك فيه ان ناصر الدين كان مثالا يقتدى به وانه كان وراء محاولة القادة المؤسسين لخلق مجتمع صغير غير منفتح على المؤثرات

---

(٤٦) – أكرم زعيتر ، « في موضوع الاتحاد » ضمن سلسلة مقالات نشرت في صحيفة « الرأي » السورية بتاريخ ٢٦ نيسان – أبريل و ١٧ و ٢٤ أيار – مايو ١٩٥٤ .

الخارجية . وقد ساعد تكوين مثل هـذا المجتمع علـى تطوير (روح التضامن) L'esprit de Corps لدى القوميين العرب اكثر من أي شيء آخر . وليس من المستغرب ان تجد الكثيرين مـن محبـي الماضي يتطلعون الى الوراء بفخر وهم يتذكرون السنوات الاولى عندما كان كل قومي عربي « فارسا يعمل من أجل تطهير الحياة القومية » (٤٧) . فقد حاول الآباء المؤسسـون » للحركة » خلق مجتمع افضل للاجيال القادمة. والواقع انهم كانوا يتطلعون الى خلق نموذج يمكن اعتماده دليلا لتخطيط عمل على نطاق أوسع . وبعبارة اخرى . راى القوميون العرب فـي مجتمعهم العقائدي الصغير صورة مستقبلية للمجتمـع العربي وتصوروا كل عضو في « الحركة » مثالا حيا للمواطن العربي في المستقبل . وقد جاء في أحد الادبيات الصادرة عن قيادة القوميين العرب فـي الايـام الاولى قولها : « يجب ان نجسد ما ندعو اليه » (٤٨) .

هذا هو باختصار الاثر الذي تركه علي ناصر الدين علـى القوميين العرب في المرحلة الاولى . اما السمات الرئيسية « للحركة » كما بدت عليه في ذلك الحين فتتلخص في كونها :

١ ـ حركة عقائدية : فقد بنى القوميون العرب فكرهم على عقيدة القومية العربية دون ان يعني هذا انه كان لهم نظرية تعتمد على مبادىء دقيقة ومحددة . فلم يكن لدى القوميين العرب في تلك الفترة ، سوى نظرة قومية كبديل للنظرة الطبقية مع انهم كانوا يحسون بالحاجـة الى نظرية توجه نشاطهم (٤٩) . وقد قام القادة المؤسسون بوضع عدد من الدراسات في ذلك الحين وان اقتصرت على اعطاء نظرة عامة حول طبيعة الوطن العربي ومكانة العرب ومصيرهم في التاريخ (٥٠) .

٢ ـ حركة ثورية : آمن القوميون العرب بضرورة التغيير الشامل والجذري في كافة مؤسسات الدول العربية . ورفضوا انطلاقا من هذا

---

(٤٧) ـ مقابلة شخصية مع ثابت مهايني في ١١ تشرين ثاني ـ نوفمبر ١٩٦٨ .

(٤٨) ـ حركة القوميين العرب ، « معالم الحياة الحزبية السليمة » ، ص ١ .

(٤٩) ـ حركة القوميين العرب ، « في التثقيف القومي » (بيروت : بلا تاريخ ، ص ١٠٧ ـ ١٠٨) .

(٥٠) ـ المقالات الافتتاحية لصحيفة « الراي » بتاريخ ٢٦ نيسان ـ ابريل ، ٢١ ايار ـ مايو و ٧ ، ١٤ ، ٢١ حزيران ـ يونيو ١٩٥٤ .

الموقف ، الاصلاحات التدريجية ودعوا الى نبذ النظام القديم كلية (٥١).
وكان المحرك الرئيسي لتفكيرهم الثوري يتلخص في كون الطبقة الحاكمة وسلطة الدولة فقدتا في نظر الغالبية العظمى من الشعب ، شرعيتهما بعد الهزيمة النكراء التي لحقت بالعرب في فلسطين .

٣ ـ مجموعة النخبة : لقد كان القوميون العرب ، في الايام الاولى ، نخبة من الطلاب والمفكرين وعناصر البورجوازية الصغيرة. ولكنهم آمنوا ، رغم ذلك بالجماهير العربية كقوة تواصل النضال حتى تبلغ غايته وحاولوا توعية الجماهير وهزها وتعزيز قوتها من اجل ان تقوم بأداء دورها (٥٢) .

٤ ـ منظمة موحدة : كان القوميون العرب مصممين على تكوين منظمة واحدة متماسكة تتكلم بصوت واحد . واستفادة من تجربة البعث في هذا المجال ، اكد القادة المؤسسون « لحركة القوميين العرب » على اهمية كون وبقاء منظمتهم موحدة لا مجال فيها للانقسامات كما اصروا على ضرورة وحدة العمل (٥٣) .

« هيئة مقاومة الصلح مع اسرائيل »

قد يكون من المفيد ، قبل الانتقال الى الخطوة التالية التي خطاها القوميون العرب ، ان نلقي نظرة تأمل على الاحداث السياسية في المشرق العربي خلال السنوات التي اعقبت الحرب بين الدول العربية واسرائيل في العام ١٩٤٨ :

كانت تلك الفترة فترة عدم استقرار تخللتها اضطرابات كثيرة . ففي العراق ، اخذت احزاب المعارضة تزداد قوة وتهدد النظام بعد ان أثبتت جدارتها خلال وثبة ١٩٤٨ الوطنية . وفي سورية قام الجيش بانقلاب عسكري في العام ١٩٤٩ فاتحا الطريق امام التدخل العسكري في السياسة . وفي مصر ، زادت حدة المشاعر المعادية للانكليز بسبب الفشل في التوصل الى اتفاقية لجلاء القوات البريطانية عن الاراضي

---

(٥١) ـ حركة القوميين العرب ، « في التثقيف القومي » ، ص ١٠٩ ـ ١١٠ .

(٥٢) ـ حركة القوميين العرب ، « حركتنا » ، ص ٢ .

(٥٣) ـ « في التثقيف القومي » ، ص ١١١ ـ ١١٢ .

المصرية . وفي الاردن . لم يكن الفلسطينيون مرتاحين للحكم الفردي الذي كان يمارسه الملك العجوز ، وباختصار : كان الشعب العربي يتطلع نحو التغيير في وقت كانت فيه المنطقة كلها في حالة غليان .

وفي تلك الفترة ، كان القوميون العرب ، يقومون ببناء نواتهم التنظيمية الاولى . وقد نجح هؤلاء في تشكيل عدد من الحلقات السرية معظمها في صفوف طلبة الجامعة الاميركية ببيروت . وكان المناخ السياسي ، في خريف العام ١٩٥١ ، ملائما لتنظيم النضال الجماهيري. وقد نظم القوميون العرب تحت ستار « جمعية العروة الوثقى » مظاهرة جماهيرية ايدت الغاء البرلمان المصري لمعاهدة ١٩٣٦ المصرية ـ الانكليزية ودعت الى جلاء القوات البريطانية عن منطقة القنال . ولقد شارك في تلك المظاهرة غير المرخص بها المئات ووقعت صدامات عنيفة مع الشرطة مما أدى الى اعتقال العديد من أعضاء « الحركة » الناشئة ومن القادة الطلابيين وطرد بعضهم من الجامعة الاميركية .

وبدلا من ان تؤدي هذه الاجراءات القمعيةالى كسر شوكةالقوميين العرب ، مهدت الطريق لهم لمواصلة نشاطهم السياسي . ولم يضع القوميون هذه الفرصة فشنوا هجوما دعاويا حادا على ادارة الجامعة الاميركية . واتهموها بمحاولة كبت الآراء القومية العربية . ولان المناخ السياسي في لبنان ـ شأنه شأن بقية البلدان العربية ـ كان معاديا للغرب ، ادى التحرك ضد الادارة الى حشد قطاعات كبيرة من الطلبة حول القوميين العرب فانتشرت الاضرابات في الجامعة وفي مؤسسات تربوية اخرى في لبنان مطالبة بعودة الطلبة المفصولين الى الجامعة . ولم يكن أمام الادارة سوى التراجع وسحب اجراءاتها التأديبية ضد الطلبة.

وقد ادى نجاح القوميين العرب في تحدي السلطة اللبنانيةوادارة الجامعة الاميركية الى اتخاذ قرار بتوسيع مجال نشاطهم السياسي الى خارج نطاق الجامعة . ومن اجل ذلك بداوا بتحريك الجماهير بعد ان وجدوا في محاولة الغرب الرامية الى تشكيل « منظمة دفاع عن الشرق الاوسط » هدفا ملائما لاثارة الراي العام في ذلك الحين . وفيمحاضرة عامة ـ هيأت لها « جمعية العروة الوثقى » ـ هاجم الدكتور جورج حبش المشاريع الغربية من اجل الدفاع عن الشرق الاوسط بحجة انها برامج مصممة للحفاظ على النفوذ الغربي في المنطقة ولتوظيف الدول

العربية في خدمة مصالح الغرب (٥٤) . كما اعتبر حبش ان تلك المشاريع، موجهة لالهاء العرب عن هدفهم الرئيسي في تحرير فلسطين ولاجبارهم على القبول بالامر الواقع مع اسرائيل . وفي سياق اجابته على تحديات الحرب الباردة . دعا الدكتور حبش الى « الحياد المسلح » الذي عبر من خلاله عن رغبة المناضلين القوميين في عدم انتهاج السياسة التقليدية للحياد التي تكون الدولة بموجبها قانعة بمجرد عدم استعمال قوتها ضد الآخرين . واكد على ضرورة اعتماد سياسة حياد ايجابي تحاول الدولة من خلالها منع توسع الاعتداء عليها بحيث تكون متأهبة للدفاع عن اراضيها بقوة السلاح اذا دعت الحاجة الى ذلك . وكانت هذه المحاضرة العامة جزءا من حملة مركزة قام بها القوميون العرب ضد المواقع الغربية في الوطن العربي . ومن اجل ايصال أفكارهم الى أكبر عدد ممكن من الجماهير . قام القوميون العرب بطبع كراسات تبين وجهة نظرهم حول القضايا القومية المهمة . كما استخدموا وسيلة دعاوية أخرى هي الكتابة على الجدران .

وبحلول العام ١٩٥٢ ، وصل نجاح القوميين العرب الى حد تمكنوا معه من تشكيل منظمة طليعية هي « هيئة مقاومة الصلح مع اسرائيل ». وكان هدف هذه المنظمة ــ كما يشير اسمها ــ حشد كافة القوى ضد أي حل سلمي مع اسرائيل . وقد اعتبر تشكيل المنظمة ضروريا على ضوء المحاولات التي قامت بها ، في ذلك الحين ، كل من وكالة الغوث التابعة للامم المتحدة وحكومة الولايات المتحدة لتوطين اللاجئين الفلسطينيين في الدول العربية المجاورة عن طريق استصلاح الاراضي القاحلة وتهيئة ظروف معيشية عصرية هناك . ولقد رفض القوميون العرب تلك المشاريع رفضا باتا لسببين : لان الولايات المتحدة ووكالة الغوث افترضتا ضمنا التعاون مع اسرائيل ، ولانهما توقعتا ازالة التوتر الموجود بين الدول العربية والدولة الصهيونية (٥٥) .

نجحت هذه المنظمة في شق طريقها الى مجالات اوسع باصدار صحيفة اسبوعية من ثمان صفحات أسمتها **الثأر** . وقد لاقت هذه الصحيفة رواجا بين الجماهير وخاصة في صفوف اللاجئين الفلسطينيين

---

(٥٤) ــ الدكتور جورج حبش ، « مشروع الدفاع المشترك » (بيروت : العروة الوثقى ، بلا تاريخ) .

(٥٥) ــ مقابلة شخصية مع الدكتور وديع حداد بتاريخ ٢١ حزيران ــ يونيو ١٩٧٠ .

اذ اخذت على عاتقها فضح كافة المحاولات لاحلال السلام مع اسرائيل . وبذلت الثار جهودا دائبة لبناء مقاومة فلسطينية ضد اي برنامج يوضع لتحسين الظروف المعيشية للاجئين الفلسطينيين . ورفضت الصحيفة رفضا باتا مشروع « بعثة الامم المتحدة الاقتصادية » للشرق الاوسط برئاسة الاميركي (جوردن كلب) الذي جاء ، في اوائل العام ١٩٥٠ ، ببرنامج مفصل للاغاثة والتطوير العام في مختلف الاقطار العربية لمنفعة اللاجئين الفلسطينيين . وقد هاجمت الثار بشدة (هربرت موريسون) وزير الخارجية البريطاني ، بسبب مشروعه من اجل السلام . وفي اواخر العام ١٩٥٣ ، رفضت الصحيفة رفضا باتا المشروع الذي تقدم به ابرك جونستون ، المبعوث الشخصي للرئيس ايزنهاور في الشرق الاوسط . واكدت الثار على ان مشروع جونستون لتطوير الري وتوليد الطاقة الكهربائية من مياه وادي الاردن وضع بالاساس لفائدة اسرائيل على حساب الفلسطينيين .

ان دراسة المشاريع المذكورة اعلاه والتعمق فيها مسألة خارج نطاق هذا البحث . ولكن تجدر الاشارة الى ان القوميين العرب كانوا مهتمين بالحقوق القومية للفلسطينيين ولذلك رفضوا كافة المشاريع التي اخفقت في تأكيد حقهم الطبيعي في العودة الى فلسطين . وقد شكك القوميون العرب بكل المحاولات الخاصة لتوطين اللاجئين الفلسطينيين في الدول العربية المجاورة اذ راوا فيها « مخططات خفية لتصفية المشكلة الفلسطينية » (٥٦) .

هذا وقد جاءت جهود القوميين العرب لحشد طاقات اللاجئين ولمقاومة مشاريع توطينهم شاهدا على قابلية جورج حبش القيادية . وفي هذا الوقت عمل وديع حداد مع حبش . وهذا الاول لاجيء فلسطيني من صفد واحد القادة المؤسسين « لحركة القوميين العرب » . وقد كان ، حينئذ ، طالبا في السنة الاخيرة لكلية الطب في الجامعة الاميركية ببيروت . وكان يقضي عطلة نهاية الاسبوع مع الدكتور جورج حبش في مخيمات اللاجئين في ضواحي بيروت أو في جنوب لبنان حيث كانا يعتنيان بالمرضى . والاهم من ذلك كونهما كانا ينظمان مناقشات سياسية مع الواعين من اللاجئين خلال الليل . وكان من بين هؤلاء احمد اليماني الذي اصبح فيما بعد احد القادة البارزين في « حركة القوميين

---

(٥٦) ــ علي ناصر الدين ، « الثار أو محو العار » (بيروت : بلا تاريخ) .

العرب » وفي التنظيم الذي تفرع عنها وهو « الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين » .

عمل وديع حداد بجد ومثابرة من اجل ان يوضح للاجئين الفلسطينيين ان المعركة ضد العدو يجب ان تكسب من خلال الجهود المشتركة للعرب . وكان يقول لهم دوما : « ان الطريق الى تل ابيب يمر بدمشق وبغداد وعمان والقاهرة » . ومن خلال شرح خطط « حركة القوميين العرب » واساليبها باسلوب مبسط . حاول وديع حداد حث اللاجئين الفلسطينيين على ربط مصيرهم بمصير الجماهير العربية . بل انه دعا الفلسطينيين - الذين كانوا في حالة فوضى - الى تجميع شتاتهم والنضال مع الثوار العرب ضد الانظمة السياسية الفاسدة التي كان يقع عليها اللوم ، بالدرجة الاولى . لضياع فلسطين .

جذبت « هيئة مقاومة الصلح مع اسرائيل » بسبب دورها الطليعي في المقاومة . الى صفوفها عددا كبيرا من اللاجئين الفلسطينيين في لبنان . وقد وفر هؤلاء للقوميين العرب امكانية توسيع مجال نشاطهم. وفي الوقت ذاته . ادى انضمام اللاجئين الفلسطينيين «لحركة القوميين العرب » الى دخول عناصر من الطبقات الفقيرة كما ساعد على احداث تغييرات جذرية في « الحركة » .

وبعد ان أثبتت « هيئة مقاومة الصلح مع اسرائيل » وجودها في صفوف اللاجئين الفلسطينيين في لبنان ، اخذت تشق طريقها نحو الفلسطينيين خارج الحدود . فقد بعثت الهيئة في بداية العام ١٩٥٢ ، عددا من الفلسطينيين النشطين لحشد اللاجئين الفلسطينيين في كل من سورية والاردن . وخلال فترة لم تتجاوز بضعة شهور نجح هؤلاء في بناء عدد من الخلايا السرية التي واصلت عمل المنظمة في هذه الاقطار. وقد اتخذت هذه الخطوة بتنسيق مع المنظمة الام التي كانت في ذلك الحين تبعث بمناضليها الى الاقطار العربية المجاورة لتوسيع نطاق فعالياتها .

خلاصة القول هي ان « الكتائب » كانت المادة الاولية التي تكونت منها « حركة القوميين العرب » . وكانت « الكتائب » في نظر رواد « الحركة » سلاحا سياسيا مصمما للضغط على الحكام العرب - وبالتهديد الارهابي اذا اقتضى الامر - من اجل التهيؤ لجولة أخرى تتم فيها تصفية اسرائيل . ولما فشلوا في تحقيق أهدافهم عن طريق هذه السبل العنيفة . نبذ هؤلاء الرواد المنظمة الارهابية ودعوا الى الاعتماد على نضال الجماهير . وقد أصبحت « جمعية العروة الوثقى » - وهي

منظمة طلابية في الجامعة الاميركية ببيروت ـ مجال عملهم خلال مرحلة الانتقال هذه . ومن خلال « العروة » اخذت افكارهم غير الواضحة حول القومية والثورية تتبلور وتتطور في حين وجد الطلبة المناضلون مجالا رحبا امامهم للقيام بالنشاط السياسي والنضال الجماهيري .

وبعد ان ثبتوا انفسهم بين صفوف طلبة الجامعة الاميركية ببيروت ومؤسسات اخرى ، وجه القوميون العرب انظارهم نحو اللاجئين الفلسطينيين الذين كانوا يعيشون في لبنان والاقطار العربية المجاورة، في حالة غضب ويأس وذل . وقد انتدبت « الحركة » عددا من اعضائها النشطين ذوي الخبرة العملية من اجل حشد طاقات اللاجئين الفلسطينيين الساخطين ودفعهم لمقاومة اية محاولة لاحلال السلام مع اسرائيل . ولم تكن « هيئة مقاومة الصلح مع اسرائيل » سوى واجهة «لحركة القوميين العرب » التي ركزت اهتمامها بالدرجة الاولى على الفلسطينيين .

وما ان بدأت « الحركة » بالانتشار في اقطار عربية أخرى ، حتى شعرت بالضغوط التي بدأت تمارسها عليها مختلف القوى السياسية . وعلى كل حال ، فقد انجذبت « الحركة » منذ البداية ، الى فلك الناصرية . وسوف يعنى الفصل القادم بمحاولة تحديد العلاقة بين « حركة القوميين العرب » والثورة الناصرية .

الفصل الثالث

الثورة المصريّة واثرها على "حركة القوميّين العَرب"

سميت ثورة ٢٣ تموز يوليو ١٩٥٢ في مصر بالثورة الام من قبل عدد من المجموعات القومية ومن ضمنها « حركة القوميين العرب » . والواقع ان تأثير الثورة المصرية على غايات ووسائل الحركة القومية العربية كان كبيرا الى درجة أنه ما من حزب قومي ذي اهداف قومية الا وطلب — في فترة او اخرى — ربط مصيره بمصير الثورة التي قادها جمال عبدالناصر . وقد تأثرت « حركة القوميين العرب » ، بصورة خاصة ، ، تأثرا كبيرا بثورة ٢٣ يوليو . ولكن علاقتها بهذه الثورة لم تستمر على وتيرة واحدة وانما تعرضت لهزات فكانت تزداد قوة في بعض الاحيان وتضعف أحيانا أخرى . وسيعنى هذا الفصل برسم صورة العلاقة بين « حركة القوميين العرب » والثورة المصرية في مراحلها المختلفة .

المرحلة الاولى (١٩٥٢ — ١٩٥٤)

رحبت « حركة القوميين العرب » بسقوط النظام الملكي الفاسد ومؤسساته الشكلية كما رحبت بقوانين الاصلاح الزراعي التي سنها القادة الثوريون حال تسلمهم السلطة . ومع ذلك أبدت « الحركة » بعض التحفظات تجاه القادة المصريين العسكريين للاسباب التالية :

١ ــ كانت الحركة في ذلك الحين تعارض ، من الناحية النظرية ، كافة اشكال التدخل العسكري في السياسة . ولا يغيب عن الذهن ان القوميين العرب كانوا قد رفضوا مؤخرا العمل الارهابي ونبذوه لصالح تنظيم النضال الجماهيري . وقد ادى هذا التحول الى جعل مواقفهم أكثر صلابة واصبحوا يخشون هيمنة « النخبة العسكرية » على الدولة معتقدين انه ما أن يستلم العسكريون زمام السلطة حتى يتعاظم دورهم الى درجة لن يكون بالامكان معها ايقافهم عند حد (١) .

٢ ــ لم تكن « حركة القوميين العرب » مرتاحة لتطور العلاقات بين قادة الثورة المصرية وبين الولايات المتحدة . ويعود ذلك الى العلاقات الخاصة التي اقامها جيفرسون كافري ، السفير الامريكي مع القادة العسكريين الجدد في مصر (٢) . وبالاضافة الى ذلك ، لم تنل المعاهدة الانكليزية ــ المصرية لعام ١٩٥٤ رضى « الحركة » التي اسمتها عملية بيع للامبرياليين (٣) . ومما يجدر ذكره هنا ان ذلك حدث في وقت كانت فيه وكالة المخابرات المركزية الامريكية مهتمة بشكل خاص باعادة ترتيب القوى السياسية في الشرق الاوسط (٤) . كما كان لدى القوميين العرب شكوكهم حول صدق العسكريين السوريين الذين كانوا يحكمون سورية مما جعلهم يشكون ، بالتالي ، بنزاهة الحكام العسكريين المصريين .

٣ ــ لم تشعر « حركة القوميين العرب » بالارتياح لتاكيد القادة الجدد على القضايا الداخلية في مصر . وكانوا يفضلون ان يتحمل القادة الثوريون الجدد مسؤوليتهم تجاه السياسة العربية منذ البداية . هذا وقد

---

(١) ــ أنظر : حركة القوميين العرب ، « موقفنا من العسكريين » .

(٢) ــ راجع كتاب :

Peter Mansfield, **Nasser's Egypt** (Baltimore: Penguin Books, 1965), p. 84.

(٣) ــ انظر : « حكومة مصر تصفي مشكلة الجلاء » ، في مجلة الرأي السورية ، ٩ اب ــ اغسطس ١٩٥٤ ، ص ١ .

(٤) ــ راجع :

Miles Copland, **the Game of Nations: The Amorality of Power Politics** (New York: Simon & Shuster, 1969).

ازداد تلق القوميين العرب بعيد انتهاء المعاهدة الانكليزية ــ المصرية عندما بدا لهم ان المصريين سيتخلون عن مسؤوليتهم تجاه الاقطار العربية الشقيقة (٥) .

٤ ــ بالرغم من ان « حركة القوميين العرب » لم تكن متحمسة للحفاظ على الاحزاب السياسية القديمة في مصر ، فانها لم تشعر بالارتياح ازاء الغائها بمرسوم حكومي . ومما زاد من خيبة أمل « الحركة » علمها بان البديل للاحزاب السياسية السابقة هو منظمة ضعيفة ــ « هيئة التحرير » ــ مرتبطة تماما بالحكم القائم (٦) .

وهكذا لم تنشأ . لهذه الاسباب علاقة حميمة بين « حركة القوميين العرب » والثورة المصرية . ولكن القوميين العرب ظلوا ، بصورة عامة ، متحفظين في نقدهم لثورة . ولا يغيب عن الاذهان ان تلك السنوات كانت الاولى في عمر « الحركة » التي دعت حينئذ ــ كحد ادنى في برنامجها ــ الى تحالف كافة القوى القومية ضد اية مشاريع غربية لتوطين اللاجئين الفلسطينيين في الاقطار العربية المجاورة . لذا حاول القوميون العرب تجميع قواهم والتحالف مع الاحزاب الاخرى في سورية ولبنان والاردن في نضالهم المشترك ضد المشاريع المذكورة أعلاه ، قاصرين نشاطهم على ذلك دون فتح جبهة جديدة مع الحكام العسكريين في مصر .

المرحلة الثانية (١٩٥٤ ــ ١٩٥٨)

كانت هذه السنوات في تاريخ « حركة القوميين العرب » فترة انطلاق اتسعت خلالها دفعة نشاطات « الحركة » فشملت كلا من عمان ودمشق والكويت وبغداد والقاهرة . كما شهدت هذه السنوات تحول ثورة ٢٣ يوليو من ثورة تحرير مصرية وطنية ذات أهداف اجتماعية محدودة الى ثورة ذات نظرة وافق واسعين . فقد أكدت ثورة ٢٣ يوليو في تلك الفترة ، عروبتها وثوريتها من خلال كفاحها من اجل تحرير ووحدة كافة الاقطار العربية .

ويمكن اعتبار المعركة حول « حلف بغداد » ــ بين ناصر ومؤيديه

---

(٥) ــ انظر « حكومة مصر تصفي مشكلة الجلاء » ، المصدر ذاته .

(٦) ــ الدكتور جورج حبش : مقابلة شخصية في ١٦ تموز ــ يوليو ١٩٦٧ .

من جهة وبين القوى الموافقة على الحلف من جهة اخرى ــ بداية لمرحلة جديدة تميزت بتفهم « الحركة » للثورة المصرية . هذا وقد أخذ القوميون العرب زمام المبادرة في منتصف الخمسينات بالهجوم على المخططات الدفاعية للولايات المتحدة في الشرق الاوسط . وعندما علموا بأن ضغطا يمارس على العراق الدخول في الحلف التركي ــ الباكستاني ، دعا القوميون العرب طلاب الجامعة الاميركية وبقية المعاهد ببيروت الى التظاهر ضد مشاركة العراق في الحلف العسكري . وبالفعل انطلق مئات الطلبة ، في أواخر اذار ــ مارس ١٩٥٤ ، من الجامعة الاميركية ليصطدموا مع الشرطة التي كانت تحاصر ابواب الجامعة . وأستشهد في هذه الاشتباكات المناضل حسان ابو اسماعيل ، عضو الحزب التقدمي الاشتراكي ، كما جرح ٢٩ طالبا (٧) . وكان لهذا الحادث صداه البعيد في المجلس النيابي اللبناني والاوساط الشعبية حيث هوجمت حكومة عبد الله اليافي بشدة لفتحها النار على المظاهرة السلمية .

على صعيد اخر ، فصلت ادارة الجامعة الاميركية خمسة طلاب قياديين بسبب مسؤوليتهم في هذه الاحداث . وقد اتخذت هذه الاجراءات التأديبية خلال العطلة الصيفية في تموز ــ يوليو ١٩٥٤ . وعندما فتحت الجامعة أبوابها في الخريف ، نشطت « حركة القوميين العرب » ثانية على ساحة الجامعة مما دفع الادارة الى اتخاذ اجراءات لم يسبق لها مثيل ، نجم عنها فصل ١٧ طالبا مرة واحدة . (٨)

ادت هذه الاحداث ــ مظاهرات القوميين العرب ضد حلف بغداد وطرد الطلبة النشيطين منهم من الجامعة الاميركية ــ الى قيام تقارب بين « حركة القوميين العرب » والضباط الشباب في مصر . فمن جهة ، بدات مصر باتخاذ موقف صلب ضد الاحلاف الغربية داعية الى تحالف كافة القوى الثورية لخوض المعركة القادمة ضد حلف بغداد . ومن جهة اخرى ، كان لقرار الرئيس جمال عبد الناصر الخاص بقبول الطلبة القوميين العرب المفصولين من الجامعة الاميركية في الجامعات المصرية ،

---

(٧) ــ أنظر صحيفة :
The New York Times, March 28-1954, p. 6.

(٨) ــ « الرأي » ٢٤ كانون ثاني ــ يناير ١٩٥٥ ، ص ١ .

أثره البعيد في أوساط أعضاء « حركة القوميين العرب » (٩) .

هذا وكان عدد من القوميين العرب المقبولين في جامعة القاهرة قد تمكنوا من الوصول الى أعلى المراتب في تنظيم « الحركة » بحيث كانوا مهيئين للقيام بمهمتين اساسيتين :

الاولى : ممارسة دورهم كحلقة اتصال بين « حركة القوميين العرب » وبين الاجهزة المصرية المسؤولة عن الشؤون العربية . وقد اصبح هؤلاء الطلبة مع مرور الوقت ، اكثر تفهما لحقيقة الوضع في مصر وقاموا بالتالي ، بشرحه لقيادة « الحركة » .

والثانية : فتح آفاق تنظيمية جديدة « للحركة » وذلك بتجنيد عدد من الطلاب من مختلف الاقطار العربية وقد أرسلت « الحركة » هؤلاء الطلاب ، في أواخر الخمسينات ليقوموا ببناء منظمات لها في ليبيا والسودان واليمن والجنوب العربي . ومما لا شك فيه ان طرد القوميين العرب من الجامعة الاميركية واتخاذ الاجراءات الصارمة ضد مناضليهم كان ذو فائدة كبيرة « للحركة » التي لولا ذلك لما اتيحت لها الفرصة لبناء جسور تصلها بثورة ٢٣ يوليو خلال مثل تلك الفترة الوجيزة .

ومنذ ذلك الحين أخذت « حركة القوميين العرب » تقترب شيئا فشيئا من ثورة ٢٣ يوليو . وظهرت في هذه الفترة نقاط تحول مهمة في تاريخ الثورة المصرية : تبني مصر سياسة حيادية سلبية ؛ عقد ناصر صفقة اسلحة مع الاتحاد السوفياتي ؛ التصريح في دستور العام ١٩٥٦ بأن المصريين شعب عربي وهو جزء من الامة العربية ؛ ثم تأميم قناة السويس بعد سحب العرض الاميركي للمعونة من أجل بناء سد اسوان . وقد ساعدت هذه التطورات على توطيد العلاقة بين « حركة القوميين العرب » والثورة الناصرية (١٠) . والواقع ان القوميين العرب . الذين

---

(٩) تعتمد المعلومات الواردة في هذه الفقرة والفقرة التالية على مقابلات شخصية مع عضوين قياديين ، رغبا في عدم ذكر اسميهما ، لعبا دورا بارزا في نشاط « حركة القوميين العرب » خلال الفترة المعنية ـ وقد تمت هذه المقابلات بتاريخ ١٧ تموز ـ يوليو ١٩٦٧ .

(١٠) الحكم دروزة : مقابلة شخصية بتاريخ ٢٩ كانون أول ـ ديسمبر ١٩٦٨ .

ابدوا تحفظا في تقييم الثورة المصرية قبل منتصف الخمسينات. اتجهوا نحو التأييد التام لقيادة الرئيس عبد الناصر في أواخر الخمسينات عندما علموا بصفقة الاسلحة التشيكية (١١) .

وطوال السنوات التي تلت ، وجد القوميون العرب أنفسهم، سواء بالتخطيط أو بمحض الصدفة ، يخوضون المعارك نفسها التي كانت تخوضها الثورة المصرية بقيادة ناصر وخاصة في الاردن حيث ناضل الطرفان ، جنبا الى جنب ، من اجل كسب المملكة الهاشمية الى جانب المعسكر السوري ـ المصري الذي كان يعمل من أجل الوحدة .

وقد لعبت **الرأي** ـ المجلة الاسبوعية الرسمية « لحركة القوميين العرب » ـ دورا مهما في نشر افكار القوميين العرب حول عدد من القضايا من ضمنها الوحدة العربية والحريات السياسية والعمل القومي . وكان الدكتور جورج حبش حينئذ رئيسا لتحرير المجلة التي ركزت اهتمامها على القضايا السياسية المهمة . ومن خلال مهاجمة المعاهدة الانكليزية ـ الاردنية والدعوة الى الغائها في كل عدد من أعداد المجلة ، تمكن حبش من شرح وجهة نظر القوميين العرب شرحا وافيا. مما زاد من شعبية المجلة بين قطاعات واسعة من الجماهير . ولم تحتمل الحكومة الاردنية هذا التحدي فقامت بإيقافها عن الصدور في آب ـ اغسطس ١٩٥٥ بعد ثمانية شهور فقط من ظهورها . ولكنها صدرت مرة ثانية في دمشق بعد ثلاثة شهور تحت الاسم ذاته حيث دعت الى اسقاط « الحكم الرجعي » في الاردن .

وأدت الاجراءات التعسفية ضد القوميين العرب في الاردن الى دفع العناصر المتشددة في « الحركة » الى الامام مما ادى الى ازدياد تطرف « الحركة » . وقد اضطر الدكتور جورج حبش الى العودة الى العمل السري مرة اخرى من اجل توجيه نشاط «حركة القوميين العرب» وقيادة النضال ضد السلطة الحاكمة .

هذا وقد وجدت أحزاب المعارضة ـ ومن ضمنها « حركة القوميين العرب » ـ في « صوت العرب » ـ البرنامج الاذاعي الخاص الموجه من القاهرة ـ اداة فعالة لتحركهم السياسي ضد حكومة هزاع المجالي التي حاولت جر الاردن للدخول في حلف بغداد . ولولا اذاعة « صوت

---

(١١) « مصر تنهي أخطاء الاربعين عاما » ، الرأي ، ٣ تشرين أول اكتوبر ١٩٥٥ ، ص ١ .

العرب » لكان من العسير وصول صوتهم الى مؤيديهم في عمان والقدس واريحا وبيت لحم وغيرها خلال تلك الايام الحاسمة من كانون أول – ديسمبر ١٩٥٥ عندما خرج آلاف المتظاهرين الى الشوارع احتجاجاعلى زيارة الجنرال جيرالد تمبلر ، رئيس هيئة اركان حرب الامبراطورية البريطانية ، الذي جاء بمشاريع من شأنها تعزيز خطط الدفاععن الشرق الاوسط عن طريق ضم الاردن الى حلف بغداد . وقد طالبت « حركة القوميين العرب » مع بقية الاحزاب التي شاركت في تنظيم المظاهرات باقالة حكومة هزاع المجالي وبتشكيل حكومة وحدة وطنية . وقد وافق الملك على المطلب الاول ولكنه تردد في تحقيق المطلب الثاني . الا ان الضباط الاردنيين الاحرار قاموا باسداء «النصح» الى الملك بالاستجابة لمطالب احزاب المعارضة المقدمة عن طريق المؤتمر الشعبي الذي عقد في كانون أول – ديسمبر ١٩٥٥ . واستجاب الملك لنصيحة « ضباطه » فأصدر في ٢ آذار – مارس ١٩٥٦ مرسوما أمر فيه باحالة الفريق جون باكوت جلوب – القائد البريطاني للجيش الاردني – على التقاعد فورا . واعقب ذلك تشكيل حكومة انتقالية لاجراء انتخابات عامة جديدة .

شاركت « حركة القوميين العرب » في الانتخابات التي جرت في تشرين أول – اكتوبر ١٩٥٦ . وقد خاض الدكتور جورج حبش مع آخرين من « الحركة » الانتخابات ببرنامج يطالب بالالغاء الفوري للمعاهدة الاردنية – الانكليزية والتخلص من كافة أشكال النفوذ الاجنبي في الاردن. كما دعا برنامجهم الى اصلاحات شاملة في مجال الحياة الاقتصادية والاجتماعية . وقد ركز القوميون العرب في المهرجانات الانتخابية على قضية الوحدة العربية التي مثلت – في نظرهم – العلاج الناجع لكافة المشاكل التي تجابه المملكة الصغيرة (١٢) .

ومع ان احدا من مرشحي « الحركة » لم يفز في الانتخابات ، الا انها كانت فرصتهم الذهبية لاقامة علاقات مع الجماهير وترسيخ جذور « الحركة » في وسطها . وقد برهنوا على ذلك خلال الايام التالية عندما اقال الملك فجاة حكومة سليمان النابلسي الوطنية في ١٠ نيسان – ابريل ١٩٥٧ . فقد لعبت « الحركة » في اعقاب هذا الانقلاب الملكي ، دورا قياديا في العمل السري الذي ظل يقاوم الملك وحكومته مقاومة عنيدة لعدة شهور . وكانت الخطوة الاولى في هذا المضمار المشاركة في

---

(١٢) الدكتور جورج حبش ، المصدر ذاته .

المؤتمر الوطني الذي عقد في نابلس في ٢٢ نيسان ـ ابريل ١٩٥٧ . وقد تم انتخاب الدكتور جورج حبش عضوا في اللجنة التنفيذية التي ضمت ايضا الوطنيين الاشتراكيين والبعثيين والشيوعيين. ودعا المؤتمر الى رفض « مشروع ايزنهاور » والالتزام بسياسة الحياد الايجابي والى تكوين اتحاد مع سورية ومصر (١٣) .

واثر محاولة احزاب المعارضة ـ التي ساهمت في المؤتمر المذكور ـ تصعيد قضيتهم بالحث على الاضراب وقيادة المظاهرات ضد حكومة الملك ، دعا الاخير قواته من البدو لمعالجة الموقف . وهكذا اضطر معظم قادة المعارضة اما الى التواري عن الانظار او الى الهرب لدمشق والقاهرة. وفي ظل هذه الظروف الصعبة اثبتت « حركة القوميين العرب » وجودها بانتهاجها دروب اكثر عنفا لمواجهة تحدي السلطة . فقد قام مناضلوها بتنفيذ خطة مدروسة لتفجير القنابل بقصد الابقاء على الروح الثورية . كذلك قام القوميون العرب بتوزيع المنشورات وباصدار نشرة سرية حملت اسم « الشعب أقوى » لتركيز اهتمام الجماهير على مقاومة حكومة الملك (١٤) .

أدى نشاط « حركة القوميين العرب » في الاردن ـ وخاصة مقاومتها العنيدة للحكومة في أعقاب اقالة حكومة النابلسي ـ الى كسبها احترام قطاعات واسعة في صفوف الجماهير ، في حين لفتت أعمالها البطولية أنظار السلطات المصرية والسورية. وقد اهتمت سورية اهتماما خاصا بنشاط القوميين العرب فقام العقيد عبد الحميد السراج ـ رجل سورية القوي حينئذ ـ بتدريب أعضاء من « حركة القوميين العرب » من سورية ولبنان والاردن ومدهم بالسلاح من أجل النضال في صفوف الحركة السرية ضد الحكم الهاشمي في الاردن (١٥) .

وبينما استمرت المعركة في الاردن خلال العام ١٩٥٨ ، واجهت القوميين العرب مشاكل عاجلة في مناطق اخرى . فمن جهة ، أدى قيام الجمهورية العربية المتحدة الى حشد عدد من القوى السياسية تتراوح

---

(١٣) انظر : « قرارات المؤتمر » ، الراي ، ٢٩ نيسان ـ ابريل ١٩٥٧ ، ص ١٠.

(١٤) المناضل الثوري ، تشرين ثاني ـ نوفمبر ١٩٥٧ ، ص ٧ .

(١٥) مقابلة شخصية مع مسؤول رغب في عدم ذكر أسمه ، بتاريخ ٢١ حزيران ـ يونيو ١٩٦٧ .

بين اقصى اليسار واقصى اليمين ضد الدولة الجديدة . ومن جهةثانية، انعكس الخلاف السياسي حول موقف لبنان من الشؤون العربية والعالمية على اللبنانيين بصورة خطرة مما هدد بقيام حرب اهلية . ولقد كانت هاتان القضيتان الرئيسيتان - بالاضافة الى قضايا اقل اهمية تتعلق بالوضع في العراق والكويت - محورا لمناقشات جدية جرت داخل القيادة القومية « لحركة القوميين العرب » في صيف العام ١٩٥٨. ونتيجة لتلك المناقشات تقرر . في جدول أعمال القيادة القومية اعطاء الاسبقية للبنان على الاردن بسبب تدهور الموقف هناك . ولما خشيت « حركة القوميين العرب » من محاولة حكومة الولايات المتحدة تشكيل تكتل موال للغرب ضد الجمهورية العربية المتحدة عن طريق اقناع لبنان والعربية السعودية بالتعاون مع الاردن والعراق ، نقلت ميدان عملهامن الاردن الى لبنان . ومن قبيل الصدفة ان هذا التحول كان مواكبا للتغير الذي طرا على استراتيجية عبد الناصر .

المرحلة الثالثة (١٩٥٨ - ١٩٦١)

ادى نشوء الجمهورية العربية المتحدة (ج.ع.م) في شباط - فبراير ١٩٥٨ الى بداية مرحلة جديدة في تطور «حركة القوميين العرب». فقد رحبت كافة الاحزاب القومية - ومنها « الحركة » - بنشوء دولة الوحدة بعد سنوات عديدة من الوجود الاقليمي المنفصل . واعتبرت « الحركة » هذا الحدث بمثابة يقظة عربية ثانية وربطت مصيرها بمصير دولة الوحدة الجديدة .

هذا وقد نظرت « حركة القوميين العرب » الى ج.ع.م. على انها نواة لدولة عربية قومية أوسع قادرة على خلق حياة افضل للاجيال القادمة مما جعل اعضاءها ادوات طوعية للجمهورية العربية المتحدة. كما ونقلت القيادة القومية « للحركة » مقر عملها الى دمشق في أوائل العام ١٩٥٨ ووجدت نفسها في حالة شبه انسجام تام مع السياسات التي اتبعتها دولة الوحدة .

فقد كان لاعادة تنظيم المؤسسات السياسية والتوسع التدريجي لنفوذ الدولة في الاقليم الشمالي (سورية) وقعهما المستحسن لدى القوميين العرب باعتبارهما «اجراءات من شأنها أن تقوي الدولةالجديدة

وتشد من أزرها » (١٦) . كما انهم اعتبروا المرسوم الصادر في ١٢ آذار ـ مارس ١٩٥٨ والذي حلت بموجبه كافة الاحزاب السياسية في الاقليم الشمالي « خطوة مهمة لبناء منظمة سياسية صالحة للدفاع عن الوحدة » (١٧) وهم باتخاذهم هذا الموقف لم يكونوا ببساطة البعثيين الذين ايدوا المرسوم واضعين بذلك نهاية لحزبهم في سورية. فالقوميون العرب لم يخسروا سوى القليل بينما ربحوا الكثير . فعلى نقيض ما كان عليه الحال مع حزب البعث ، لم تسنح الفرصة « للحركة » لبناء تنظيم متين في سورية قبل قيام الوحدة . فهم جاءوا الى الساحة متأخرين ولم تجتذب أفكارهم العامة سوى القلائل من طلبة المرحلة الثانوية والجامعية . وبحل حزب البعث والاحزاب السياسية الرئيسية الاخرى، تمكن شباب القوميين العرب من الوقوف على قدم المساواة مع السياسيين الكبار . ولدهشة الجميع ، تمكن بعضهم من تبوء مناصب عالية في « الاتحاد القومي الجديد » .

وفي حين لاقت السياسة الداخلية للجمهورية العربية المتحدة تأييد « حركة القوميين العرب » ، لاقت سياستها العربية والخارجية تأييدا اكبر . وبالامكان اعتبار أواخر الخمسينات ذروة القوميين العرب اذ تمكنوا اثناءها من الاعتماد على مساعدة ج.ع.م. سواء في محاربتهم لحكومة شمعون الموالية للغرب في لبنان أو في مواجهتهم للحكم القاسمي المدعوم من قبل الشيوعيين في العراق . وبفضل جهود العقيد عبد الحميد السراج ، لم يفتقر القوميون العرب الى السلاح اللازم في هذه المناطق الملتهبة . وعلاوة على ذلك أصبح الاقليم الشمالي ملاذا وقاعدة تدريب لاعضاء « الحركة » الوافدين من الاقطار العربية المجاورة (١٨).

وقد زج القوميون العرب ، تحت قيادة الجمهورية العربية المتحدة، انفسهم في الصراع بين حكومة الرئيس شمعون الموالية للغرب وبين السياسيين الذين كانوا يخشون اعادة انتخاب شمعون . ومن خلال الحرب الاهلية التي اعقبت هذا الصراع ظهر القوميون العرب كمجموعة

---

(١٦) حركة القوميين العرب ، « التقرير الشهري » ، حزيران ـ يونيو ١٩٥٨ ص ٢ .

(١٧) المصدر ذاته .

(١٨) الزعيم عبد الحميد السراج : مقابلة شخصية ٢٨ حزيران ـ يونيو ١٩٧٠.

منظمة ومنضبطة . ولقد لعبت منظماتهم ـ في الاحياء الفقيرة فيبيروت وصيدا وميناء طرابلس ـ دورا مهما في الحرب الاهلية التي استمرت معاركها ضد قوى السلطة طوال صيف العام ١٩٥٨ .

الا انه كان من سوء حظ « حركة القوميين العرب » انها اضطرت لوضع قواها تحت زعامة السياسيين التقليديين الذين كانوا انفسهم جزءا لا يتجزا من الحكم السابق . فقد كان هؤلاء السياسيون ميالين الى القبول بحل وسط ، وهذا ما تم فعلا بينهم وبين الاطراف الاخرى في الحكم . والواقع ان الصيغة التي توصلت اليها الاطراف الرئيسية المتنازعة في الحرب الاهلية ـ وهي صيغة « لا غالب ولا مغلوب » ـ وان تكن ادت الى حل « الشؤون العائلية » بين الزعماء التقليديين فانها لم ترض القوميين العرب واتباعهم . ومن المعتقد انه لولا الجمهورية العربية المتحدة لما خضع القوميون العرب لقيادة السياسيين اللبنانيين التقليديين الذين استغلوهم لحل خصوماتهم مع بعضهم البعض مثلما استغلوا اتباعهم . ولكن هل كان بامكان « الحركة » ان تتصرف بشكل آخر ؟

من الصعب الاجابة على هذا التساؤل بالايجاب . فمن ناحية ، تلقى القوميون العرب تدريبهم وسلاحهم والتأييد من ج.ع.م. ومن ناحية ثانية ، كان اتباعهم يحاربون من اجل ناصر والجمهورية العربية المتحدة مما جعلهم ملزمين بقبول كل ما قبل به عبد الناصر . ويجد بعض متشددي « الحركة » في ذلك سببا وجيها للتساؤل حول سلامة تكتيك « الحركة » ان لم نقل سلامة استراتيجيتها . ويعتقد هؤلاء انه ما كا يجب على « الحركة » ان تقبل بالانضمام الى الزعماء التقليديين المشكوك فيهم ، بقدر ما كان يجب عليها القتال ولو منفردة أو مع البعث والقوى التقدمية الاخرى (١٩) .

وما ان انتهت الحرب الاهلية في لبنان بانتخاب رئيس جديد في ٣١ تموز ـ يوليو ، حتى بدات « الحركة » بالتهيؤ لمعركة جديدة في العراق . فمع انه كان متوقعا لثورة ١٤ تموز ـ يوليو ١٩٥٨ أن تقود العراق للدخول في الوحدة ، اختار اللواء عبد الكريم قاسم ـ ومن ورائه الشيوعيون الحفاظ على استقلالية العراق . وقد اظهر اعتقال العقيد عبد السلام عارف ، الذي دعا الى وحدة فورية مع الجمهورية

---

(١٩) تعتمد هذه المعلومات على مقابلات شخصية مع عدد من الاعضاء السابقين في « حركة القوميين العرب » بتاريخ ٢٠ و ٢١ كانون اول ـ ديسمبر ١٩٧٠ .

العربية المتحدة ، نوايا اللواء قاسم وشق الشعب العراقي الى فريقين: الوحدويون والانفصاليون .

وبعد ثورة ١٤ تموز بقليل ، ارسلت القيادة القومية « للحركة » هاني الهندي ـ احد قادتها الكفوئين وذوي الخبرة ـ الى العراق ليساعد القيادة المحلية هناك على رسم خطة جديدة للعمل في الاقليم . وكان وجود هاني الهندي في العراق مفيدا في دفع القوميين العرب الى الامام . فمن ناحية وافق الهندي على توصية القيادة المحلية باعطاء القوميين العرب اسما محددا . وهكذا اطلق اسم « حركة القوميين العرب لاول مرة على القوميين العرب الذين كثيرا ما اعتبروا خطأ من اتباع « حزب الاستقلال » في العراق . وكانت هذه هي الخطوة العملية الاولى التي ساعدت « الحركة » الناشئة على اثبات وجودها كحزب سياسي . ومن ناحية ثانية ، قام هاني الهندي بالتخطيط من اجل قيام « التجمع التقدمي » الذي حقق تحالف كافة القوى الوحدوية في العراق والذي عجل في اماطة اللثام عن حقيقة الحكم القاسمي . ومن ناحية ثالثة ، وافق هاني الهندي على توصية القيادة المحلية الداعية الى السماح لها بالعمل في صفوف الجيش . وكانت هذه هي اهم خطوة اتخذها مبعوث القيادة القومية اذ لم يعد القوميون العرب يحجمون عن تجنيد أعضائهم في القوات المسلحة، بل اخذوا يعتمدون بصورة متزايدة على ضباطهم من أجل القيام بالتغيير المطلوب في الحكومة (٢٠) .

ومن الجدير بالملاحظة هنا انه ما ان نجحت « الحركة » في كسب عدد من الضباط العسكريين حتى أبدت الجمهورية العربية المتحدة اهتماما متزايدا بنشاطات « الحركة » . والواقع ان هذا الاهتمام المتزايد « بالحركة » زاد من اهميتها . واخذ الرئيس جمال عبد الناصر يستقبل مبعوثي القيادة القومية « للحركة » بنفسه ويناقش معهم مختلف ابعاد النضال القومي العربي .

شنت « الحركة » حملة عنيفة على الاعمال الدموية التي نفذها الشيوعيون في العراق . وقد هاجم القوميون العرب في نشرتهم السرية « **الوحدة** » ـ التي ساعد هاني الهندي في اصدارها ـ نشاط الحزب الشيوعي واتهموه بالعمل ضد مبادىء القومية والوحدة العربية . ولان قضية الوحدة كانت أهم القضايا المطروحة في ذلك الحين ، قامت

---

(٢٠) حامد الجبوري : مقابلة شخصية في ٦ آذار م مارس ١٩٦٨ .

«الحركة» بنشر عدد من الدراسات التي ركزت على الوحدة العربية(٢١). وابدت الجمهورية العربية المتحدة ـ التي كانت تشن حملة اذاعية وصحفية مركزة ضد الشيوعية ـ اهتماما بنشر بعض هذه الدراسات، وقامت باعادة طبع كتاب الحكم دروزة وتوزيعه على نطاق واسع (٢٢).

على صعيد اخر ، صدر العدد الاول من مجلة **الحرية** الناطقة باسم « حركة القوميين العرب » في ٤ كانون ثاني (يناير) ١٩٦٠ . وفي هذا العدد اوضحت « الحركة » موقفها من الصراع الدائر قائلة : « نحن راغبون فكريا في خوض معركة مع كافة القوى المعادية لحركتنا ... سواء كانت شرقية أم غربية ... يمينية او يسارية » . وقد كررت **الحرية** وبقية منشورات «الحركة» هذا الموقف الوسط في الوقت الذي كانت فيه الجمهورية العربية المتحدة تتحدى قاسم وحكمه المدعوم من قبل الشيوعيين .

ومما تجدر ملاحظته هنا هو انه بالرغم من اعتبار « الحركة » نفسها قوة وحدوية في الساحة ، فأنها لم تفكر في امكانية قيام اية وحدة خارج نطاق ج.ع.م. خشية ان تقود هذه الوحدة الى تحويل مركز القوة في المنطقة الى خارج اطار الجمهورية العربية المتحدة . ولذا دافعت « الحركة » في العام ١٩٦١ عن استقلال الكويت عندما ادعى الحكم القاسمي بأن الامارة المستقلة جديثا جزء لا يتجزأ من العراق (٢٣) .

وخلاصة القول ان « حركة القوميين العرب » انتهجت ، خلال هذه المرحلة ، البرنامج الذي وضعته لجنتها التنفيذية في عام ١٩٥٩. ويتضمن هذا البرنامج ما يلي : التركيز على قضية الوحدة العربية ؛ الصراع ضد الشيوعيين المحليين والقوى الرجعية في الوطن العربي ؛ التأكيد على سياسة الحياد الايجابي ؛ دعم الثورة الجزائرية ؛ واخيرا

---

(٢١) ـ حركة القوميين العرب : « الوحدة طريقنا » (١٩٥٨) . « العراق وأعداء الثورة » (١٩٥٩) . « أيها الشيوعيون أين ايمانكم بالاتحاد الفدرالي » (١٩٥٩) . « الوحدة ثورة ومسؤولية » (١٩٥٩) .

(٢٢) ـ الحكم دروزة ، « الشيوعية المحلية ومعركة العرب القومية » (بيروت : دار الفجر ، ١٩٦٢) .

(٢٣) ـ حركة القوميين العرب ، « نحن وأزمة الكويت » (تموز ـ يوليو ١٩٦١) .

وليس اخرا دعم الجمهورية العربية المتحدة على الصعيـدين الداخلي والخارجي .

المرحلة الرابعة (١٩٦١ – ١٩٦٧)

لقد كان التنبؤبمسار هذه الفترة من حياة « حركـة القوميين العرب » اشد ما يكون عليه تعذرا ، ولذا علينا ، من اجل تفهم الطريق المتعرج الذي سلكته « الحركة » خلال هذه الفترة ، ان نتعمق في فهم الصراع الداخلي الذي عاشته « الحركة » في اعقاب اصـدار القرارات الاشتراكية في ج.ع.م. في تموز (يوليو) ١٩٦١ .

سبق وان ذكرنا ان « الحركة » وجدت في جمـال عبـد الناصر قائدا من نوع جديد ، سارت على خطاه في كل معركة منـذ العـام ١٩٥٥ . وكان من الطبيعي ان تستمر في انتهاج ذلك الخط عندما حاول ناصر بناء نظام اقتصادي واجتماعي موحد من خـلال توسيعه نطـاق قراراته الاشتراكية بحيث اصبحت تشمل الاقليم السوري في تمـوز – يوليو ١٩٦١ . وقد تسببت هذه القرارات وما تلاها مـن انفصـال سورية عن ج.ع.م. ، في شهر ايلول – سبتمبر في العام ذاته ، في اثارة حوار جدي داخل « الحركة » . فمن جهـة قبلت « القيـادة التقليدية » ممثلة بالدكتور جورج حبش وهاني الهندي والدكتور وديع حداد والدكتور احمد الخطيب ، بالقرارات الاشتراكية ودافعت عنهـا ووافقت كذلك على الرأي القائل بان مثل هذه القرارات يجب ان تتـم بصورة سلمية ضمن اطار تحالف واسع بين الطبقات العاملـة والمثقفين والراسماليين الوطنيين . ومن جهة اخرى ، قبـل محسـن ابراهيـم – رئيس تحرير مجلة **الحرية** – مع مجموعة نشطة وان تكـن صغـيرة مكونة من شباب الجيل الجديد للقوميين العرب بالقرارات الاشتراكية من حيث المبدا ولكنهم تساءلوا عن امكانية تطبيق مثل هذه الاجراءات الحاسمة في غياب الحزب الاشتراكي كما ورفضوا نظرية الانتقـال السلمي نحو الاشتراكية على اساس انها نظرية غير ملائمة (٢٤) .

---

(٢٤) – أنظر :

Muhsin Ibrahim, «Arab Socialism in the Making» in K.H. Karapat (ed.) **Political and Social Thought in the Contemporary Middle East** (New York: Praeger, 1968), p. 213.

وقد اثبت انفصال سورية عن ج.ع.م. (نتيجة لتحالف الاقطاع مع البرجوازية) صحة وجهة النظر التي عبرت عنها مجموعة محسن ابراهيم في وقت مبكر. ونتيجة لذلك تم في العام ١٩٦٢ وضع برنامج جديد « للحركة » – بتحريض من محسن ابراهيم – اعتمد الصراع الطبقي اساسا له. وكانت « القيادة التقليدية » على استعداد للموافقة على اعادة النظر في برنامجها الاساسي لسببين (٢٥) : **الاول** هو التجربة المرة لقيام وانهيار الجمهورية العربية المتحدة وثبوت عدم جدوى اعتبار البرجوازية قوة وحدوية ؛ **والثاني** هو تأثير الحوار الفكري الذي دار بين الناصريين والقوى الوحدوية الاخرى بعد الانفصال. وقد لعب ناصر دورا كبيرا في هذا المجال اذ فتح بتقديمه « الميثاق الوطني » آفاقا جديدة في الفكر الاشتراكي العربي.

وعدا النقاش الفكري الذي انغمس فيه عدد متزايد من الاعضاء، انهمكت « الحركة » في معارك متشددة، وطنية وذات توجه طبقي لاعادة ضم سورية الى الجمهورية العربية المتحدة. ففي سورية ناضل اعضاء « الحركة » باصرار من اجل اسقاط حكم الانفصال. وفي العراق كان نضالهم تحت راية الوحدة والاشتراكية. وقد ابدى الرئيس جمال عبد الناصر اهتماما خاصا بها وعبر عن تقديره المتزايد لها (٢٦).

لقد ادى فشل قادة البعث في الالتزام باتفاقية الوحدة التي وقعوا عليها مع ناصر بعد توليهم السلطة في العراق وسورية الى زيادة شقة الخلاف بين الجمهورية العربية المتحدة وحزب البعث. وقد شعرت « الحركة »، التي قامت بمحاولة فاشلة لاسقاط حكم البعث في العراق، بالارتياح عندما سمعت شجب ناصر للبعث في الذكرى الحادية عشرة لثورة ٢٣ يوليو. وقد دعا الرئيس جمال عبد الناصر يومها الى اقامة حركة قومية عربية موحدة تندمج فيها كافة الحركات القومية في الوطن العربي (٢٧). ونالت هذه الفكرة استحسان

---

(٢٥) – هاني الهندي : مقابلة شخصية بتاريخ ٢٢ حزيران – يونيو ١٩٧٠.

(٢٦) – المصدر ذاته.

(٢٧) – « خطاب الرئيس جمال عبدالناصر في الذكرى الحادية عشرة لثورة ٢٣ يوليو » القاهرة : ٢٢ تموز – يوليو ١٩٦٣، كما ورد في كتاب « وثائق سياسية عربية ١٩٦٣ » (بيروت : الجامعة الاميركية) ص ٢٣٣.

« الحركة » التي كانت تفكر في خطوط مشابهة . والواقع انه اثناء انعقاد المؤتمر القومي «للحركة» في اعقاب الانقلابين البعثيين في كل من العراق وسورية ، تم تخصيص جلسة كاملة لبحث ازمة الحركةالعربية القومية التي كانت تعاني من الانقسامات الفكرية والاقليمية . كما رأت « حركة القوميين العرب » ، في المؤتمر نفسه ، بأن قضية توحيد القوى الثورية في الوطن العربي يجب أن تبحث مع ناصر نفسه(٢٨) .

كان من الطبيعي ان تسارع « الحركة » لارسال وفد الى القاهرة لمقابلة الرئيس عبد الناصر وبحث الامر معه . وقد عبر الوفد للرئيس عن امله في ان تقوم الجمهورية العربية المتحدة باقامة تحالف بين « الاتحاد الاشتراكي العربي » المصري و «حزب جبهة التحرير الوطني» الجزائرية و « حركة القوميين العرب » مع قوى ثورية اخرى كخطوة أولى نحو انشاء حركة عربية اشتراكية واحدة . وقد اتفق عبد الناصر معهم في الراي بأن الحركة العربية القومية في وضع مشتت وانه يجب اقامة تحالف بين القوى التقدمية (٢٩) .

وفي ١٨ تشرين ثاني ــ اكتوبر ١٩٦٣ قام انقلاب ناصري في العراق أدى الى الاطاحة بحكم البعث . وسنحت بذلك الفرصة لاختبار الخطط التي وضعها عبد الناصر و « حركة القوميين العرب » معا . وفي ١٤ تموز ــ يوليو ١٩٦٤ قامت اربع منظمات « اشتراكية » (حركة القوميين العرب والحزب الاشتراكي العربي وحركة الوحدويين الاشتراكيين والوحدويون الاشتراكيون الدمقراطيون) بالاعلان عن حل تنظيماتها واندماجها في الاتحاد الاشتراكي العربي في العراق (٣٠) . وبعد ذلك بخمسة ايام ، اعلنت القوى الوحدوية في سورية (حركة القوميين العرب وحركة الوحدويين الاشتراكيين والجبهة العربية المتحدة والاتحاد العربي الاشتراكي السوري) حل تنظيماتها واندماجها

---

(٢٨) ــ محسن ابراهيم : مقابلة شخصية بتاريخ ١٦ تشرين ثاني ــ نوفمبر ١٩٦٨ .

(٢٩) ــ المصدر ذاته .

(٣٠) ــ قسم الدراسات السياسية والعلاقات العامة ، « السياسة العربية تموز ــ ايلول ١٩٦٤ » ، الجزء الثاني رقم ٣ (بيروت : الجامعة الاميركية) ص ٢٤٣ .

في الاتحاد الاشتراكي العربي في سورية (٣١) . وفي الوقت نفسه ، اخذت « الحركة » زمام المبادرة في عدن والجنوب المحتل لتشكيل جبهة قومية لتحرير جنوب اليمن . وقد حلت عدة تنظيمات نفسها للدخول في الجبهة الجديدة ــ التي شكلت « حركة القوميين العرب » عمودها الفقري . وهذه التنظيمات هي (الجبهة الناصرية والمنظمة الثورية لتحرير اليمن الجنوبية ومنظمة القبائل ومنظمةالضباط والجنود الاحرار وجبهة اصلاح يافع والجبهة القومية) . وانضمت الى الجبهة فيما بعد كل من الطليعة الثورية والمنظمة السرية للبرالي اليمن الجنوبي وشباب مهران (٣٢) . كما وضعت «حركة القوميين العرب» نواتها الصلبة في الجمهورية العربية المتحدةفي خدمة الاتحاد الاشتراكي العربي وتحت تصرف ناصر كدليل على ايمانها بقيادته (٣٣) .

هذا وقد ظل القوميون العرب ، خلال عامي ١٩٦٤ و ١٩٦٥ على اتصال وثيق بالرئيس جمال عبدالناصر في وقت بدا فيه ممكنا توحيد كافة المجموعات الناصرية على الصعيد الاقليمي . وكانت مجموعة محسن ابراهيم هي التي اخذت زمام المبادرة في المؤتمر القومي للعام ١٩٦٥ بتقديم اقتراح يتضمن دمج « حركة القوميين العرب » بالناصرية على الصعيد القومي . وقد تمكنت هذه المجموعة من استقطاب غالبية اعضاء المؤتمر الى جانبها وهكذا باشروا بوضع برنامج طموح يهدف الى خلق حركة عربية اشتراكية جديدة تعتمد على الطبقة العاملة وعلى فكر اشتراكي واضح وعلى تنظيم موحد . وقد طرحت هذه الفكرة على الرئيس عبدالناصر من قبل محسن ابراهيم نفسه الذي خرج من الاجتماع متفائلا . الا ان هذا التفاؤل لم يدم طويلا . فبالرغم من تقبل عبدالناصر للفكرة منذ البداية الا ان زكريا محيي الدين ــ ساعده الايمن ــ واعضاء آخرين من حاشيته لم يتعاطفوا مع الفكرة (٣٤) . كما كان قادة « الحركة » . علاوة على ذلك .

---

(٣١) ــ « تصريح للمجموعات الوحدوية » دمشق ١٩ تموز ــ يوليو ١٩٦٤ كما ورد في وثائق سياسية عربية ١٩٧٣ .

(٣٢) ــ مكتب الامانة العامة لحركة القوميين العرب « تقرير عن الجنوب العربي » ، ص ١ ــ ٢ .

(٣٣) ــ محسن ابراهيم : المصدر ذاته .

(٣٤) ــ المصدر ذاته .

سذجا في توقعهم النجاح لهذا المشروع . فالناصرية خارج الجمهورية العربية المتحدة كانت تيارا سياسيا ولم تكن حزبا . واندماج « الحركة » بالناصرية خارج الجمهورية العربية المتحدة يعني بالتالي حل تنظيماتهم والعمل كوكلاء لشبكة المخابرات — او في افضل الاحوال وضع هذه التنظيمات في يد المخابرات الناصرية . وكان هذا بالفعل تفسير الاجهزة البيروقراطية الناصرية « للصفقة الجديدة » مع «حركة القوميين العرب».

ولكن سرعان ما نشب ، في اليمن ، أول صدام بين « حركة القوميين العرب » وبين الاجهزة البيروقراطية المصرية . ففي ١٣ كانون ثاني — يناير ١٩٦٦ ، قام الضباط المصريون المسؤولون عن شؤون الجنوب العربي بانقلاب ضد « الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن » التي تقودها « الحركة » ، في محاولة لفرض وحدة مع القوى المعتدلة ممثلة في « جبهة تحرير جنوب اليمن المحتل » (٣٥) . وبالرغم من أن مجموعة محسن ابراهيم أقرت الانقلاب المصري باعتباره اجراء مهما في سبيل توحيد كافة القوى القومية في نضالها ضد الاستعمار البريطاني ، رفض القوميون العرب في اليمن رفضا باتا أي تقارب مع مجموعة الاصنج — مكاوي التي ابدت استعدادا للتفاوض مع الحكومة البريطانية في وقت كانت فيه القوى الثورية للجبهة تفرض نزالا حاسما مع القوى الاستعمارية . وقد حاول كل من الرئيس عبدالناصر وقيادة « الحركة » التدخل في النزاع ولكن الجهود لم تفلح اذ أعلن القوميون العرب في عدن انسحابهم من « جبهة تحرير جنوب اليمن المحتل » في ١٤ تشرين أول — إكتوبر ١٩٦٦ ومتابعة النضال المسلح ضد البريطانيين من خلال القومية التي أعيد تنظيمها (٣٦).

وفي الوقت الذي سحب فيه فرع « الحركة » في جنوب اليمن نفسه من الناصرية بسبب اخفاقه في التوصل الى تفاهم مع أجهزة عبدالناصر البيروقراطية ، وجد القوميون العرب في كل من سورية والعراق انه من العسير العمل مع اخوانهم الناصريين . ففي العراق ، لم يكونوا مفتونين بحكم عبدالسلام عارف الذي أراد « الاتحاد الاشتراكي العربي » أن يكون اداة بيد أجهزة الدولة . ولهذا انسحبوا من التنظيم الرسمي واخذوا يعملون سرا من أجل محاربة « القيادة المنحرفة » (٣٧) . واصيب

---

(٣٥) — حركة القوميين العرب ، « حول العلاقات بين الحركة الوطنية بالجنوب » ص ٤ .

(٣٦) — قحطان الشعبي : مقابلة شخصية بتاريخ ١٦ تموز — يوليو ١٩٦٧ .

(٣٧) — هاشم علي محسن : مقابلة شخصية بتاريخ ٢٤ حزيران — يونيو ١٩٧٠ .

القوميون العرب بخيبة أمل مماثلة في تجربتهم مع « الاتحاد الاشتراكي العربي السوري » ، اذ لم يجدوا رفاقهم الناصريين راديكاليين بما فيه الكفاية للبدء بعمل جديد (٣٨) .

ولم يمض وقت طويل حتى ادرك كل من الرئيس عبدالناصر و « حركة القوميين العرب » أن مشروعهما المشترك قد وصل الى طريق مسدود . وفي تموز — يوليو ١٩٦٦ ، اجتمعت اللجنة التنفيذية « لحركة القوميين العرب » وتوصلت ، من خلال تحليلها للحركة الناصرية ، الى ضرورة التمييز بين القوى المختلفة وخاصة بين « اليمين » المتمثل بوكلاء البيروقراطية البورجوازية وطبقتهم وفكرهم وامتداداتهم التنظيمية في الاقطار العربية ، وبين « اليسار » المتمثل بالعناصر والقوى التقدمية الموجودة ضمن الخط الرئيسي للناصرية (٣٩) . ودعت اللجنة التنفيذية « اليسار الناصري » الى تأكيد « استقلاله » الفكري والسياسي والتنظيمي بغية تجنب هيمنة « اليمين » عليه (٤٠) . وتطبيقا لهذه الاستراتيجية الجديدة ، دعت « القيادة القومية » القوميين العرب في العراق وفي سورية الى الانسحاب من الاتحاد الاشتراكي العربي لتولي قيادة « اليسار الناصري » (٤١) . ومما يدعو للعجب ان « الحركة » كانت تعتقد بامكانية تجاوز الاجهزة البيروقراطية الناصرية دون ان تتأثر علاقتها الودية مع عبدالناصر . وعلى كل حال فقد أثبتت الاحداث التالية بأنها كانت على خطأ اذ ، مع حلول العام ١٩٦٧ ، كانت علاقتها مع عبدالناصر قد تدهورت الى حد متدن جداً .

المرحلة الخامسة (١٩٦٧ وما بعدها)

ادت نكسة حرب حزيران — يونيو ١٩٦٧ الى تغييرات هائلة في

---

(٣٨) — مقابلة شخصية مع مسؤول رغب في عدم ذكر اسمه بتاريخ ١٨ تشرين ثاني — أكتوبر ١٩٦٨ .

(٣٩) — محسن ابراهيم ، « لماذا منظمة الاشتراكيين اللبنانيين ؟ » (بيروت : دار الطليعة ، ١٩٧٠) ص ٧٧ .

(٤٠) — المصدر ذاته .

(٤١) — المصدر ذاته .

الوطن العربي . وكان من الطبيعي ان تشكل تلك النكسة نقطة تحول في حياة « الحركة » التي طالما كان مبرر وجودها هو قضية فلسطين بالدرجة الاولى .

ولا يغيب عن الاذهان ان « حركة القوميين العرب » سارت وراء ناصر منذ العام ١٩٥٥ على اساس أن ثورته قادرة على توحيد العرب وتحرير أرضهم المغتصبة . وبعبارة اخرى سارت « الحركة » على خطى عبدالناصر من اجل أن تفوز بالجائزة — ولم تكن الجائزة سوى فلسطين قبل اي شيء آخر . ولما اخفق ناصر في تحقيق ذلك . فقدت ايمانها به وبنظامه .

هذا وقد عقدت منظمات «حركة القوميين العرب»، في اعقاب الحرب العربية — الاسرائيلية (١٩٦٧) ، سلسلة من المؤتمرات لبحث وتحليل الاسباب التي أدت الى هزيمة الجيوش العربية . وكانت حصيلة هذه المؤتمرات الطلاق الكامل مع الناصرية التي ادينت باعتبارها « حركة بورجوازية صغيرة محكوم عليها بالفشل » (٤٢) . كما دعت هذه المؤتمرات الى استبدال الناصرية : « ببداية جديدة » من شأنها أن تغير « حركة القوميين العرب » من منظمة شبه بورجوازية الى حزب لينيني — ماركسي (٤٣) .

وخلال السنوات الاربع الماضية (حتى ١٩٧٠ — ١٩٧١) ظهر اليسار كقوة مسيطرة على « حركة القوميين العرب » وقام بمحاولة للتوفيق بين اللينينية — الماركسية والظروف الموضوعية الملموسة في الوطن العربي . وقد تفرع عن « حركة القوميين العرب » تنظيمان هما : « الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين » و « الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين » وكلاهما يتمسك بقوة بالمعادلات السياسية الخاصة بالاحزاب الشيوعية دون أن يفقدا استقلاليهما التنظيميين . وسيبقى ملكا للمستقبل رواية ما اذا كانت الماركسية — اللينينية ستخدمهما كأداة لتحرير فلسطين .

وخلاصة القول ان « حركة القوميين العرب » تطورت خلال العشرين سنة الماضية من مجموعة صغيرة من الشباب الثوري المتطلع

---

(٤٢) — الحركة الاشتراكية العربية ، « الثورة العربية ومدلولات خمسة حزيران » بغداد ١٩٦٨ ، ص ٢ .

(٤٣) — المصدر ذاته .

نحو القيام بدور في الحركة العربية القومية التحررية الى حزب سياسي ناضج يرفع الشعارات السياسية الماركسية ـ اللينينية . وقد ساهمت عدة قوى سياسية واجتماعية عاملة في الساحة العربية الى احداث هذه التغييرات الجذرية في حياة « حركة القوميين العرب » ـ بشكل أو بآخر ـ ولكن تجربة ثورة ٢٣ يوليو والعلاقة الخاصة التي نشأت بين قيادة « الحركة » وبين الرئيس عبدالناصر نفسه ، كانت أهم العوامل التي أدت الى احداث هذا التغيير في مفاهيم وأهداف « الحركة » . ففي المدرسة غرست الثورة الناصرية في « حركة القوميين العرب » أفكارها التقدمية والاشتراكية . وفي حين أبدت « الحركة » على درب تطورها ، استعدادا أكبر للمضي في التفاعل مع الاتجاهات الاشتراكية السائدة ، مال عبدالناصر ، بصفته رجل الدولة يترأس جهازا بيروقراطيا كبيرا ، لأن يكون أكثر حذرا في استعمال وتطبيق أدوات التحليل الماركسية .

الفصل الرابع

البناء التنظيمي لحركة القوميين العرب

لكي يتشكل اي حزب سياسي ، لا بد من توفر ثلاث مكونات : بناء تنظيمي من نوع ما ، اعضاء يلعبون دورا معينا في التنظيم ، وقادة مهمتهم الرئيسية اتخاذ القرارات . وسيعنى هذا الفصل ببحث هذه المكونات كما تتجلى في « حركة القوميين العرب » لان ذلك سيساعد على اعطاء نظرة دقيقة عن المنظمة التي يجري بحثها .

التنظيم

يدعو النظام الداخلي الى اعتماد « المركزية المرنة » مبدأ رئيسيا تستند اليه « الحركة » في تنظيمها وفي حياتها الداخلية (١) . وقد اعتقد مؤسسو « حركة القوميين العرب » أنه من الضروري لحركة مُقدر لها اعادة بناء المجتمع العربي بوسائل ثورية ، أن تخلق تنظيما سياسيا من نوع جديد يكون مستعدا لتكييف نفسه مع ظروف النضال المتنوعة

---

(١) ـ اللجنة الادارية ، « النظام الداخلي » ، ص ٢ .

والسريعة التغيير . ويعتقد حمد الفرحان — أحد القادة البارزين في فرع « حركة القوميين العرب » بالاردن في اوائل الخمسينات — انه لم يكن معقولا لمؤسسي « الحركة » ، الذين كان هدفهم خلق حزب صدامي ، الا يأخذوا بعين الاعتبار الاداة التنظيمية للثورات الناجحة في التاريخ كالاحزاب الشيوعية في الاتحاد السوفياتي وفي الصين (٢) . والواقع انه من الضروري لحركة عليها التكيف ، في آن واحد ، مع ظروف النضال العلني والصراع السري ان تتبع نظاما مركزيا وانضباطيا دقيقا . ولكن المركزية قد تكون أوتوقراطية أو ديمقراطية حسب الدور الذي يلعبه الاعضاء في عملية تحديد السياسة داخل جهاز الحزب (٣) . فما هو نوع المركزية الذي التزمت به « حركة القوميين العرب » ؟

انه لمن الصعب اعطاء جواب محدد على هذا السؤال . فمن ناحية، تعترف « الحركة » بأهمية جميع اعضائها وتشجعهم ، في اللقاءات التنظيمية ، على النقاش بحرية حول كافة المواضيع المتعلقة بالحياة الحزبية . كما تحثهم على الاستفادة من مبدأ « النقد والنقد الذاتي » — وهو أحد الابواب المهمة في جدول أعمال الاجتماعات الحزبية — للكشف عن نقاط الضعف في عمل « الحركة » او في عمل أي من أعضائها . كما تحث « الحركة » اعضاءها على رفع الاسئلة والاقتراحات الى المراتب العليا . ومن ناحية اخرى ، ينفذ ممثلو المراتب العليا « للحركة » القرارات التي تتخذها المستويات العليا دون أن يكون في مقدور الاعضاء الطعن في سلطة هؤلاء الممثلين .

ويمكن للمرء أن يفهم ، من كل ما تقدم ، ان ما سمته الحركة « بالمركزية المرنة » هو ما تسميه بقية الاحزاب الثورية « بالمركزية الديمقراطية » . والواقع ان « الحركة » نفسها بدات باستعمال هذه التسمية منذ العام ١٩٥٧ اذ اخذت أدبيات « الحركة » تعرّف المبدأ كما يلي : « ... اهمية النهج الديمقراطي في تطبيق المركزية ، أو القبول بالقرارات التي يتخذها المركز على ضوء النقاش الحر في القاعدة » (٤) .

---

(٢) — حمد الفرحان : مقابلة شخصية في ٢٢ حزيران — يونيو ١٩٧٠ .

(٣) — انظر كتاب :

Barbara and Robert North (trans.), Political Parties, by Maurice Duverger (London: Methuen, 1967), p. 2.

(٤) — حركة القوميين العرب ، « المركزية الديمقراطية » ، ١٩٥٧ ، ص ١ .

ومع ذلك يجب الا يؤخذ بادعاء « الحركة » هذا دون تمحيص . فعدم الانسجام بين المركزية والديمقراطية يزداد حدة في منظمة يتم ملء كافة مراكزها الحزبية من قبل المستويات العليا بدلا من انتخابها بأساليب ديمقراطية .

ان البناء التنظيمي « لحركة القوميين العرب » شبيه بالهرم حيث تتمثل قاعدته بالاعضاء وتتمثل قمته بالقيادة . ومثله في ذلك كمثل الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي — او اي حزب من هذا النوع — الذي يعتمد على المركزية الشديدة في بنائه . هذا ويعزل اعضاء « حركة القوميين العرب » على كافة المستويات افقيا وعموديا بعيدا عن العلاقات والمعلومات التي تعتبرها « الحركة » غير ضرورية لهم للقيام بتأدية مهامهم (٥) .

و « الخلية » هي الوحدة الاولية في تنظيم « الحركة » ، ويتراوح عدد اعضائها من ثلاثة الى سبعة مع العلم ان هنالك نوعان من الخلايا : « خلايا المنطقة » التي تتكون من اعضاء يسكنون الحي نفسه ، و « خلايا العمل » التي تتكون من أعضاء يعملون في المصنع أو الدائرة ذاتها (٦) . والخلية هي الوحدة التنظيمية الاساسية حيث يتلقى اعضاء « الحركة » ثقافتهم الحزبية وتدريبا صارما ويكتسبون خبرة ليصبحوا ثوريين ممن نذروا انفسهم للكفاح ضد النظام القائم . ويتم ، اثناء الاجتماعات الاسبوعية المنتظمة للخلايا ، اتباع جدول أعمال دقيق لتزويد الاعضاء بالافكار والتجارب الثورية الاساسية . ويتضمن جدول الاعمال في العادة، الابواب الدائمة التالية :

١ — قراءة ومناقشة التعاليم والتوجيهات الصادرة عن المراتب العليا .

٢ — مناقشة التقرير السياسي الذي يقوم بتقديمه احد اعضاء الخلية حول أحداث الاسبوع المهمة .

٣ — دراسة قضية فكرية أو مشكلة تنظيمية تطرحها المراتب العليا او يختارها المسؤول عن الخلية .

٤ — بحث اعمال الخلية خلال الاسبوع المنصرم وتعيين مهمات جديدة للاسبوع القادم .

٥ — باب المالية والمتفرقات .

---

(٥) — حركة القومين العرب ، « مفاهيم تنظيمية » ، ص ٣ .

(٦) — سلام احمد : مقابلة شخصية في ١٠ تشرين ثاني — نوفمبر ١٩٦٨ .

٦ — النقد والنقد الذاتي (٧) .

وتعلق « الحركة » اهمية كبرى على الخلايا التي يكون اعضاؤها على اتصال دائم برجل الشارع . وبعبارة اخرى ، اعتبرت « الحركة » اعضاء الخلايا بمثابة اعين وآذان لها . وبالاضافة الى كونهم اداة تحريك ودعاية وتجنيد ، تؤدي القاعدة دورا مهما في جمع المعلومات ونقل اخبار الاحداث المهمة التي تقع في محيطهم الى جهاز الحزب (٨) . ويمكن القول بأن المعلومات التي ترد الى « الحركة » بواسطة الوحدات الاساسية للتنظيم ، تجهزها بالمواد التي تجعلها قادرة على تأدية مهامها . وهذه المعلومات المستقاة من المستويات السفلى — والتي تشق طريقها الى « الحركة » عن طريق الخلايا — ضرورية من أجل تجنب الانفصال عن الجماهير التي لا يمكن « للحركة » القيام بمهامها دون دعمها وتأييدها .

وينص النظام الداخلي « للحركة » على أن أي عربي يؤمن بأهداف « الحركة » ومبادئها ويعمل في احدى وحداتها ، ويلتزم بقراراتها ، وينفذ اوامرها باخلاص ، ويساهم في تمويل ميزانيتها ، ويمثل « الحركة » وفكرها باخلاص يمكن أن يصبح عضوا فيها . ويجب على المرشحين للعضوية أن يحصلوا على تزكية عضوين على الاقل ممن يعرفون المرشح شخصيا . وعند الحصول على موافقة « الشعبة » (أي قيادة « الحركة » في المنطقة) يمكن للمرشح الانضمام الى الخلية في الحي الذي يسكنه أو في محل عمله . ولكن غالبا ما يطلب الى المرشح الالتحاق باحدى « الحلقات التثقيفية » حيث يوضع المرشحون للعضوية تحت التجربة مدة ستة اشهر لاثبات جدارتهم . وعليهم ان يدرسوا خلال فترة التجربة هذه ، المبادىء الاساسية للقومية العربية والعقائد الثورية للحركة بالاضافة الى المشاركة في نشاطات « الحركة » . وفي حالة وجود تنظيمات ملحقة « بحركة القوميين العرب » مثل « النادي الثقافي العربي » ، المنتشر في مدن عربية كثيرة ، فان عضوية المرشح في هذه النوادي غالبا ما تعفيه من الانضمام الى حلقة تثقيفية لان مثل هذه التنظيمات هي في الواقع ميادين تدريب لتجنيد الاعضاء الجدد في صفوف « الحركة » (٩) .

---

(٧) — حركة القوميين العرب ، « كيف تقود خلية » ص ٣ — ٥ و « ورسالة الى أعضاء الخلايا » ، ص ١ — ٥ .

(٨) — حركة القوميين العرب ، « أوليات في التنظيم : الخلية » ، ص ٣ .

(٩) حركة القوميين العرب ، « أوليات في التنظيم : كيف تتصل . »

والوحدة التالية في المراتب التنظيمية للحركة هي « الرابطه » ، وتتكون من ثلاثة الى سبعة اعضاء يعينهم القطاع . وهنالك نوعان من الروابط : « روابط المنطقة » وتكون مسؤولة عن خلايا المنطقة الناشطة في القريه او في جزء من المدينة . و« روابط العمل » وهي مسؤولة عن خلايا العمل الناشطة في المصانع والمعامل وبين الطلاب وذوي المهن . وللرابطة اعمال مهمة هي تنفيذ الخطط والبرامج الموضوعة للوحدة الوظيفية او المحلية التي تقع ضمن اطار عملها . وتقوم الرابطة بأعمالها من خلال رجالها المسؤولين عادة عن توجيه شؤون الوحدات الاساسية . ولان « حركة القوميين العرب » تعتمد نظام العلاقات العمودية ، لا تتمكن الخلايا من الاتصال ببعضها مباشرة . هكذا تشكل الرابطة وسيلة الاتصال بين الوحدات الاساسية . (١٠)

والمرتبة التالية على السلم التنظيمي للحركة تسمى « الشعبة » — وهي الوحدة المسؤولة عن تنظيم وتنسيق عمل الروابط التي تنشط في المدينة او في منطقة جغرافية مثل الفرات الاوسط في العراق وشمال لبنان . وتتكون الشعبة ، كما هي الحالة في المراتب السفلى ، من ثلاثة الى سبعة اعضاء يعينون من قبل « قيادة الاقليم » . ولا يمكن للروابط ان تتصل ببعضها الا من خلال الشعبة بسبب العلاقات العمودية المذكورة اعلاه . وتوفر الشعبة سبل الاتصال هذه من خلال اعضائها الذين يشكلون عادة « الكادر المسؤول عن الاشراف على الروابط » . كما ان من مهمات الشعبة الموافقة على قبول الاعضاء الجدد في « الحركة » (١١) .

وتتربع على قمة التركيب الهرمي في كل بلد عربي — حيث تعمل « الحركة » — « قيادة الاقليم » التي تتكون من عضو مسؤول معين من قبل « المؤتمر الاقليمي » ومن عدد من الاعضاء الذين تعينهم « اللجنة التنفيذية » المركزية . وتقوم قيادة الاقليم بتمثيل « الحركة » في ذلك الاقليم (أي البلد العربي المعني) وتعتبر مسؤولة عن عملها امام « لجنة الادارة » . وتتضمن واجبات قيادة الاقليم ما يلي :

١ — تطبيق مبادىء « الحركة » وقوانينها وتنفيذ خططها وقراراتها في الاقليم .

---

(١٠) حركة القوميين العرب ، « مفاهيم تنظيمية » ص ٢ — ٥ .

(١١) المصدر السابق ، ص ٥ — ٧ .

٢ ـ الاشراف على تنظيمات « الحركة » في الاقليم .
٣ ـ رفع المستوى النظري والتنظيمي لاعضاء الاقليم .
٤ ـ تنظيم مالية « الحركة » في الاقليم . (١٢)

هذا وتعقد « قيادة الاقليم » و« اللجنة التنفيذية » « المؤتمر الاقليمي » كلما دعت الحاجة الى اعادة النظر في استراتيجية وتكتيك « الحركة » في ذلك الاقليم . هذا مع العلم انه قلما اجتمعت المؤتمرات الاقليمية خارج لبنان اذ اعتبرت الدعوة الى عقد مثل هذه المؤتمرات نوعا من المخاطرة التي قد يتعرض بسببها قادة « الحركة » السرية الى مراقبة اجهزة المخابرات في الدولة . واستنادا الى ما قاله أحد القادة البارزين في « الحركة » ، لم يكن متسنيا لقادة القوميين العرب الذين شملت اهدافهم قلب انظمة الحكم القائمة في الدول العربية فرصة الاجتماع تحت سقف واحد دون ان يكون ذلك امام اعين الشرطة في بلدان مثل العربية السعودية والعراق وسورية آنذاك (١٣) . وقد يكون هذا مبررا كافيا لعدم اجتماع « المؤتمر الاقليمي » في بلد قد تكون فيه الاجراءات الصارمة ضد قيادة «الحركة» بمثابة عملية انتحارية للتنظيم. ولكن هذه الحجة كانت بلا شك ، عرضة لتحدي عدد من قادة الصف الثاني (أي « الشعبة ») الذين هم اما على خلاف مع « قيادة الاقليم » حول بعض القضايا او يتطلعون الى المشاركة في أعمال مراتب أعلى في « الحركة » . وفي حين يتقبل قادة الصف الثاني مبررات النخبة (بعدم عقد « المؤتمر الاقليمي ») على انها تمثل جزءا من الحقيقة فقط، يدعون بأن الكثيرين من اعضاء « قيادة الاقليم » أصبحوا ذوي شخصية مستبدة بحيث لم يعودوا على استعداد لان يحاسبوا من قبل الذين هم أقل منهم مرتبة (١٤) . وهذه تهمة خطيرة ليس بالامكان التأكد من صحتها بسبب عدم توفر المعلومات الكافية . ومع ذلك ، فان أحد أسباب فشل القادة في الدعوة الى مؤتمر اقليمي يكمن في عدم رغبتهم

---

(١٢) حركة القوميين العرب ، النظام الداخلي ، ص ٢ ـ ٣ .

(١٣) مقابلة شخصية مع مسؤول رغب في عدم ذكر اسمه في ٩ تشرين ثاني (نوفمبر) ١٩٦٨ .

(١٤) تعتمد هذه المعلومات على مقابلات شخصية مع عدد من أعضاء حركة القوميين العرب في العراق بتاريخ ٥ ، ٦ ، ٧ تشرين ثاني (نوفمبر) ١٩٦٨ .

تفويض سلطتهم الى اولئك الذين هم اقل منهم ثقافة وخبرة . وبامكان المؤلف . من خلال مقابلات اجراها مع عدد من اعضاء قيادة الاقليم وقيادة الصف الثاني في العراق . ان يستنتج لماذا لم تبال قيادة الاقليم بالدعوة لمؤتمر اقليمي خلال حكم قاسم او حكم البعث . فبسبب البون الشاسع في المستوى بين « قيادة الاقليم » وقيادة الصف الثاني . لم تجد القيادة قيمة لعقد مؤتمر اقليمي . وقد جاء على لسان احد القادة العراقيين قوله : « ... لكان مضيعة للوقت ومدعاة للضجر ؛ وعلاوة على ذلك ما كان بالامكان التوصل الى اية نتائج مثمرة من خلال مؤتمر غالبيته من ذوي القابليات المتوسطة . » (١٥)

وتتصل قيادات الاقاليم المختلفة (اي في العراق وسورية ولبنان وفلسطين والكويت ... الخ) ببعضها البعض عن طريق أعلى مراتب « الحركة » فقط ـ اي من خلال « المؤتمر القومي » حيث يجتمع مبعوثون عن قيادات الاقاليم المختلفة بصورة دورية مرة كل سنة من اجل القيام بالمهمات التالية :

١ ـ اعادة النظر في الموقف السياسي العام وتحديد اهداف « الحركة » في كل مرحلة .

٢ ـ رسم خطة عمل عامة « للحركة » في كل مرحلة .

٣ ـ دراسة برامج المراتب العليا لكل اقليم والموافقة عليها .

٤ ـ دراسة التقرير المالي « للحركة » والموافقة عليه .

٥ ـ انتخاب اعضاء محكمة « الحركة » .

٦ ـ انتخاب « اللجنة التنفيذية » ودراسة مهماتها (١٦) .

ويجتمع « المؤتمر القومي » ايضا في الحالات الطارئة من اجل مراجعة وتعديل خط « الحركة » عند الحاجة . وقد دعت « اللجنة التنفيذية » الى مثل هذا الاجتماع بعد الانقلابين البعثيين في سورية والعراق في العام ١٩٦٣ مباشرة من اجل دراسة اثر هذه الانقلابات على الحركة العربية القومية (١٧) . كما وعقد مؤتمر طارىء اخر في

---

(١٥) مقابلة شخصية مع مطلع رغب في عدم ذكر اسمه في ١٠ تشرين ثاني (نوفمبر) ١٩٦٨ .

(١٦) حركة القوميين العرب ، « النظام الداخلي »، ص ٣ .

(١٧) « المؤتمر القومي غير الاعتيادي لعام ١٩٦٣ » (بيروت : ١٩٦٣) .

اعقاب حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ حيث اتخذت قرارات غاية في الاهمية تتعلق بفكر « الحركة » وتنظيمها (وستبحث هذه القرارات في مكان آخر ٠)

هذا وقد تم ، منذ البداية في العام ١٩٥١ وحتى العام ١٩٦٤ ، انتخاب اعضاء هذه المرتبة العليا بدقة من قبل القادة المؤسسين « للحركة » . وكان هؤلاء يشكلون الغالبية في « اللجنة التنفيذية » . غير ان مجموعة من اعضاء الجيل الجديد الذين تم ترفيعهم الى « اللجنة التنفيذية » في العام ١٩٦٣ ، تمكنت من تعديل النظام الداخلي « للحركة » بحيث أصبح ينص على دعوة كافة اعضاء القيادات الاقليمية لحضور المؤتمرات اللاحقة (١٨) . والواقع ان « المؤتمر القومي » للعام ١٩٦٤ كان نقطة انعطاف في تاريخ « حركة القوميين العرب » اذ طرحت فيه ، للمرة الاولى ، أفكار واتجاهات ومفاهيم تنظيمية جديدة . (وسيقال المزيد عن هذا المؤتمر في مكان آخر من هذا البحث) .

ومن اهم اعمال « المؤتمر القومي » انتخاب « اللجنة التنفيذية » التي تمثل اعلى مرتبة « للحركة » في الفترات الفاصلة بين المؤتمرات . وبعبارة أخرى ، فان « اللجنة التنفيذية » هي المجموعة المركزية التي تتحمل مسؤولية توجيه نشاطات « الحركة » خلال الفترات المذكورة أعلاه مع الالتزام بقرارات « المؤتمر القومي » (١٩) .

وتقوم « اللجنة التنفيذية » بوضع جدول أعمال « المؤتمر القومي » وتقدم التقرير الرئيسي الى المؤتمر . وينقسم التقرير عادة الى قسمين : الاول وتبحث اللجنة التنفيذية فيه التطورات السياسية الداخلية والخارجية ، والثاني حيث تبحث نشاطات « الحركة » ومشاكلها التنظيمية .

وللقيام بمهامها على الوجه المطلوب ، تقسم « اللجنة التنفيذية » أعمالها بين ثلاث لجان : (٢٠)

١ ــ **المكتب السياسي** : (« لجنة الادارة » سابقا) : وهو المرتبة المركزية الاهم في « الحركة » . وتنتخب « اللجنة التنفيذية » المكتب

---

(١٨) مقابلات مع محسن ابراهيم ونايف حواتمة في ١٦ تشرين ثاني (نوفمبر) ١٩٦٨ .

(١٩) حركة القوميين العرب ، النظام الداخلي ، ص ٢ .

(٢٠) محسن ابراهيم : مقابلة شخصية في ١٦ تشرين ثاني (نوفمبر) ١٩٦٨ .

من بين أعضائها البارزين وتمنحه سلطة تنفيذ قرارات « اللجنة التنفيذية » والاشراف على الاعمال اليومية « للحركة » .

٢ ـ **اللجنة الفكرية :** وتتشكل عضوية هذه اللجنة من اعضاء « الحركة » واصدقائها الذين تعينهم « اللجنة التنفيذيه » . ويجب ان يكون الشخص المسؤول عن هذه اللجنة واحدا من اعضاء « المؤتمر القومي » . وواجب اللجنة هو رسم واغناء البرامج الفكرية للحركة على ضوء قرارات « المؤتمر القومي » .

٣ ـ **اللجنة المالية :** وتتكون هذه اللجنة من أعضاء « الحركة » الذين تعينهم « اللجنة التنفيذية » . ويجب ان يكون المسؤول عن هذه اللجنة واحدا من اعضاء « المؤتمر القومي » .

وأخيرا ، يمكننا ، من هذا العرض للبناء التنظيمي « لحركة القوميين العرب » ، ان نستخلص بأن «الحركة» طورت تركيبا تنظيميا صارما جدا اساسه العلاقات العمودية حيث تعتمد المراتب السفلى على المراتب العليا ، وحيث لا تستطيع مراتب المستوى الواحد الاتصال ببعضها البعض الا من خلال المرتبة الاعلى . وقد خدم هذا النظام « الحركة » على أحسن وجه خلال السنوات الاولى . وكان بامكانه الاستمرار في تأدية خدماته لو كان « للحركة » نظرية متكاملة تتمكن من الاجابة على التساؤلات الجوهرية التي عذبتها في السنوات التالية.

العضوية

بالامكان اعتبار « حركة القوميين العرب » احدى الاحزاب التي يطلق عليها (دو فرجير) اسم « devotee parties » (٢١) لانها اكثر انفتاحا من أحزاب الكادر « cadre parties » التي تعتمد على عدد من الاشخاص البارزين وأصحاب النفوذ . كما ان « الحركة » أكثر انغلاقا من الاحزاب الجماهيرية التي تعمل على تجنيد أعداد كبيرة من الناس . وبالرغم من هذا تتطلع « الحركة » لان تصبح حزبا جماهيريا على المدى البعيد ، فانها متشددة في اختيار أعضائها . وقد اعتبرها مؤسسوها حركة « طليعية » ممثلة للحركة العربية القومية ، وطلبوا من اعضاء « الحركة » تكريس أنفسهم لقضية الثورة

---

(٢١) انظر كتاب : *Duverger, OP. cit. P. 70.*

العربية . وقد كان على العضو الذي يود الانتماء الى « حركة القوميين العرب » في سنواتها الاولى ، ان يساهم في تنفيذ النشاطات اليومية « للحركـــة » . ولم تكن لدى العضو حياة خاصـــة خارج نطـــاق « الحركة » . (٢٢)

هذا وقد خبا اندفاع وحماس الجيل الاول حالما اكتشف الحقائق الصعبة للحياة . ولاحظت « الحركة » ، في أواخر الخمسينات ، انها لن تتمكن من تحقيق اهدافها عن طريق «كشافتها .» فقد سلط تحقيق الوحدة بين سورية ومصر فيالعام ١٩٥٨، الضوء على ضعف «الحركة» التي كانت ، حتى ذلك الحين ، منغمسة في تنظيم الطلاب ، وبخاصة طلاب المرحلة الثانوية . وعندما اجتمع « المؤتمر القومي » في أواخـــر ذلك العام ، قام باعادة النظر بدقة في التجربة السابقة « للحركـــة » ورأى ان شروطها المتعلقة بالعضوية كانت صارمة لدرجة انها لم تستهو احدا من ايه مجموعة اخرى عدا الطلبة . ولهـذا طالب المؤتمر قيادات الاقاليم بالبحث عن وسائل جديدة لتجنيد العمال والفلاحـين واعضاء من القوات المسلحة . (٢٣)

أثناء ذلك ربطت «الحركة» نفسها بالمد الناصري المتصاعد وشقت طريقها الى صفوف طبقات وفئات اجتماعية عديدة في وسط الجماهير في عدة اقطار عربية . ففي العراق ، رهن أعضاء « الحركة » مصيرهم بمصير البعثيين والقوى القومية الاخرى من أجل المقاومة الشيوعيـــة التي أخذت فجأة تهدد النظام الثوري الجديد . وعندما تعاون عبـــد الكريم قاسم مع الشيوعيين ، انقلب القوميون ضده وقاوموا حكمــه المستبد بعناد . وخلال فترة وجيزة اعتبرت « حركة القوميين العرب » واحدة من اهم القوى المقاتلة في سبيل القومية العربية والثورة . وقد احتلت «الحركة» مكانة بارزة في « التجمع القومي » الذي قاد النضال ضد حكم قاسم الدكتاتوري . كما ادت مواقف « الحركة » الى كسب اعداد متزايدة من الاعضاء في كل مجالات الحياة . وكانت العلاقات مع القوات المسلحة محط اهتمام خاص من جانب « الحركة » التي انجذب اليها عدد من الضباط المتنفذين . كما تجاوز ما حققته « الحركة » في العراق . خلال سنوات قلائل ، ما توقعه قادتها عندما بداوا العمـــل

---

(٢٢) هاني الهندي : مقابلة شخصية في ٢٢ حزيران (يونيو) ١٩٧٠ .

(٢٣) مصطفى بيضون : مقابلة شخصية في ١٧ تشرين ثاني (نوفمبر) ١٩٦٨ .

لتنفيذ برنامجهم الجديد مع مجموعة من الطلاب في العام ١٩٥٨ . وكانت منجزاتهم خلال السنوات الخمس التالية عظيمة . وعندما تولى حزب البعث السلطة في العام ١٩٦٣ . شكلت « الحركة » قوة يحسب حسابها اذ كانت تنظيماتها منتشرة في كافة انحاء القطر وكانت أبرز معاقلها في بغداد والموصل والفرات الاوسط . وكان معظم اتباعها من الطبقة العاملة ؛ وان بقي كادرها الرئيسي من الطلاب ومدرسي الثانويات وبعض اساتذة الجامعة . (٢٤)

وفي الاردن . حدت قيود معينة دوما من نشاطات « الحركة » . وهذه القيود عائدة الى عاملين : اولا ، النهج الابوي والعملي (البراغماتي) لمؤسسي « الحركة » هناك . وثانيا ، سياسة مصر في المنطقة . وبالامكان تقدير اهمية هذه العوامل على ضوء أهداف « الحركة » في الاردن . فلان الاطاحة بالملك وبالنظام كانا دوما الهدف القريب . توجب على « الحركة » التركيز بصورة خاصة على الجيش وعلى موظفي الدولة . ومنذ البداية ، نجحت « الحركة » في تجنيد المثقفين الاردنيين والموظفين المدنيين الكفوئين . كما جندت « الحركة » في أواسط الخمسينات بعض الضباط المتنفذين ولكن سرعان ما سرح هؤلاء الضباط وأتباعهم من الجيش بعد الانقلاب الفاشل في نهاية الخمسينات . كذلك كانت « للحركة » قوة في مخيمات اللاجئين وفي أوساط فلسطينيي الضفة الغربية . وكان لتأكيد « الحركة » على القضية الفلسطينية ، في أوائل الخمسينات ، أثره في كسب قطاعات واسعة من الفلسطينيين وخاصة بين الطلبة والعمال . (٢٥)

وفي لبنان ، كان « لحركة القوميين العرب » قلاعها في بيروت وطرابلس وصيدا . (٢٦) وكانت ساحة الجامعة الاميركية ببيروت ميدانا لاحتشاد مؤيدي « الحركة » مما جعل الطلبة يشكلون الغالبية العظمى لاعضاء « الحركة » . ومما تجدر الاشارة اليه هنا ان عددا

---

(٢٤) سلام أحمد : مقابلة شخصية في ١٠ تشرين ثاني (نوفمبر) ١٩٦٨ .

(٢٥) الدكتور جورج حبش : مقابلة شخصية في ٢٤ حزيران (يونيو) ١٩٧٠ .

(٢٦) أنظر كتاب :

Michael W. Suleiman, **Political Parties in Lebanon** (Ithaca, N.Y.: Cornell University Press, 1967), p. 159.

ضئيلا من الاعضاء الطلاب بقي مرتبطا « بالحركة » بعد التخرج . وقد علق الدكتور ميشيل سليمان على ذلك قائلا بأن المثقفين كانوا اكثر استعدادا للسير وراء البعثيين (٢٧) الذين مثلوا حالة أرقى . ومع احترامه للدكتور سليمان ــ الخبير بالاحزاب السياسية في لبنان ــ فان المؤلف لا يقره على هذه الملاحظة اذ ان التقصي الذي قام به الاخير يجعله عاجزا عن الموافقة على ان البعثيين في لبنان مثلوا حالة اكثر تطورا من القوميين العرب . بالاضافة الى ان البعثيين اللبنانيين كانوا يفقدون خريجيهم على غرار ما حدث مع القوميين العرب . (٢٨) ولعله من العدل القول انه بسبب كون الحركات العربية ــ كالبعث و« حركة القوميين العرب » ــ بعيدة عن الامساك بزمام الحكم في لبنان . فان أعضاء هذه الحركات لم يروا لانفسهم مستقبلا براقا بعد التخرج من خلال العمل في منظمات غير قانونية . وبعبارة اخرى ، يفضل الشباب اللبناني المتلىء بالحيوية تجربة حظه مع « النظام الحر » ومع الفرص المتاحة للفرد على ان يربط نفسه بمستقبل مجهول .

هذا وقد كانت « الحركة » في لبنان نشطة كذلك بين الفلسطينيين في مخيمات اللاجئين . كما كان اللبنانيون والفلسطينيون ينتظمون حتى العام ١٩٦٥ في المراتب ذاتها في « الحركة » في لبنان . ولكن اسبابا ستراتيجية (ستبحث في مكان اخر) أوجبت انضواء الاعضاء الفلسطينيين في « الحركة » في تنظيم خاص بهم . ومع ذلك ، بقي الفلسطينيون فاعلين جدا في النشاطات السياسية اللبنانية . (٢٩)

وفي سورية ، وبسبب المنافسة الشديدة التي واجهتها من قبل حزب البعث في ساحة الجامعة السورية وفي المعاهد الدراسية الاخرى . لم تحرز « الحركة » قبل العام ١٩٦١ سوى تقدم ضئيل بين الطلبة . وعلى كل حال . فقد باشرت « الحركة » بشن هجوم واسع ساعدها عليه الوحدة مع مصر في العام ١٩٦١ . وبواسطة النواة الصلبة

---

(٢٧) المصدر ذاته ، ص ١٥٨ .

(٢٨) مقابلات مع عدد من البعثيين في لبنان في ٢٠ و ٢١ و ٢٢ و ٢٣ تشرين ثاني (نوفمبر) ١٩٦٨ .

(٢٩) وديع حداد : مقابلة شخصية في ٢١ حزيران (يونيو) ١٩٧٠ .

المكونة في الايام التي سبقت انبثاق الجمهورية العربية المتحدة ، تمكن فرع « الحركة » في سورية ، من احراز نتائج مذهلة لا تقل عما حققه شعيفه فرع العراق. وما كاد يمضي عامان على مقاومة حكم الانفصاليين الذين انسحبوا من الجمهورية العربية المتحده حتى تمكنت « الحركة » من لعب دور قيادي في حشد الجماهير تحت راية الناصرية . وعندما قامت القوات المسلحة بقلب نظام الحكم الانفصالي في العام ١٩٦٣ ، كوفئت « الحركة » بوزارتين في الحكومة الثورية الجديدة . هذا وقد اثبتت « الحركة » خلال الايام اللاحقة ، قوتها وخاصة في دمشق وحلب حيث خرج الوحدويون المتشددون الى الشوارع في محاولة لزيادة الضغط على البعثيين والذين ابدوا ترددا حول موضوع اعادة الوحدة مع مصر (الذين شكلوا اغلبية الحكومة الجديدة) . وفي الواقع كانت أوائل الستينات السنوات الذهبية « للحركة » في سورية اذ نجحت في جذب قطاعات كبيرة من الشعب وخاصة بين صفوف العمال الذين تجاوبوا مع « الحركة » بعد ان اصبحت الصوت الجهور للناصرية في سورية (٣٠) .

وفي الكويت ، انحصرت عضوية « الحركة » بصورة رئيسية ، بين الطلاب والمدرسين مع انه كان لها اتباع بين عمال « شركة بترول الكويت » . كما كان لدعوة « الحركة » الى الدمقراطية والحقوق الدستورية في الخمسينات ، اثرها في كسب الكثير من المؤيدين بين صفوف التجار ورجال الاعمال والمقاولين الذين ساعدوها ماليا . ولكن ما ان بدأت « الحركة » بالدعوة الى الاشتراكية ، في بداية الستينات، حتى نفرت هذه العناصر البرجوازية من الشعارات الجديدة (٣١) .

اما في اليمن والجنوب العربي ، فقد قامت « الحركة » التي تشكلت من الطلاب الشباب العائدين بعد دراستهم في مصر وأماكن اخرى ، بانتهاج اسلوب مختلف . فقد التزموا ، بصورة رئيسية ، بفقراء الفلاحين والعمال حيث بالامكان تتبع جذور العديد من قادتهم الى ذلك الوسط . وفي حين تسللوا الى النقابات العمالية في عدن ، انتشرت خلاياهم في الريف. وفي اليمن سيطروا على النقابة العمالية الوحيدة في البلد . وقد ضمت هذه النقابة عمال مشروع انشاء

---

(٣٠) هاني الهندي : مقابلة شخصية في ٢٢ حزيران (يونيو) ١٩٧٠ .

(٣١) احمد الخطيب : مقابلة شخصية في ١٢ تشرين ثاني (نوفمبر) ١٩٦٨ .

الطريق بين تعز وصنعاء الذي مولته الولايات المتحدة (٣٢) . وقد قام القوميون العرب بعد ثورة ايلول - سبتمبر ١٩٦٢ . بتوسيع الحركة النقابية العمالية وشكلوا « النقابة العامة لعمال اليمن » . كما قاموا بفتح ناد ثقافي عربي في تعز ساعد على تجنيد الطلاب والمثقفين (٣٣).

وكانت « الجبهة القومية لتحرير اليمن » عبارة عن تحالف بين القوميين العرب ومجموعات اخرى ذات عقلية مشابهة آمنت بأن الكفاح المسلح هو الاسلوب الوحيد لتحرير جنوب اليمن من الامبريالية والرجعية العربية. وما ان شن هؤلاء هجومهم على القوى الاستعمارية. حتى انضمت الى صفوفهم اعداد متزايدة من الفلاحين والعمال والطلاب وافراد القوات المسلحة . وكان القوميون العرب ، الذين شكلوا القوة المهيمنة في الجبهة ، غيورين جدا على استقلالية تنظيمهم ولذا استمروا في اتخاذ قراراتهم بأنفسهم (٣٤) .

القيادة

اظهرت قيادة « حركة القوميين العرب » منذ بداية تشكلها في ١٩٥١ وحتى المؤتمر القومي ١٩٦٤ درجة عالية من الوحدة والتماسك الداخلي . وكان القادة المؤسسون - الذين سيطروا سيطرة تامة على التنظيم حتى العام ١٩٦٤ - مجموعة من « المؤمنين الصادقين » اكثر من اي شيء اخر. وهكذا تصعب مقارنتهم مع قيادات اي من الاحزاب السياسية الاخرى التي تسعى بالدرجة الاولى للحصول على المراكز العامة . وقد كان قادة « الحركة » شبابا في العشرينات من أعمارهم ما يزال بعضهم طلابا جامعيين والبعض الاخر حديث التخرج. وبالرغم من انتمائهم جميعا على وجه التقريب ، الى الطبقة الوسطى ، فانهم لم يملكوا ، ولا حتى قليلا من الوعي الطبقي . لقد كانوا مثاليين لديهم

---

(٣٢) انظر :

Fred Halliday, «Counter-Revolution in the Yemen», **New Left Review**, September-October 1970, p. 11.

(٣٣) المصدر ذاته ، ص ١٧ .

(٣٤) قحطان الشعبي : مقابلة شخصية في ١٦ تموز (يوليو) ١٩٦٧ .

خبرة سياسية قليلة وفكر سياسي اقل (٣٥) .

هذا وقد نظر هؤلاء القادة الى منظمتهم على أنها راس رمح الجماهير العربية في نضالها من اجل الوحدة القومية والاستقلال . ومن هذا المفهوم النخبوي ، بداوا وضع قواعد لتنظيم اصبح اكثر الحركات السياسية انضباطا ودقة في التنظيم في المنطقة . وقد ركزوا اهتمامهم ، بصورة خاصة ، على المراتب القيادية « للحركة » التي كان عليها التقيد بالمبادىء التنظيمية التالية : (٣٦) .

١ ــ **القيادة الجماعية** : وقد اعتبر هذا المبدأ مهما جدا للاسباب التالية :

أ ــ كضمان ضد الانحراف والانتهازية والتأثير الشخصي والتحريض .

ب ــ كاجراء وقائي ضد اخطاء خطيرة قد يقع فيها ، بصورة انسانية طبيعية ، اي قائد فرد . وقد اعتبرت النقاشات الجماعية حاسمة في تجنب مثل هذه الاخطاء .

جـ ــ كأداة لتوحيد كفاءات وتجارب الاعضاء وتوظيفها لصالح « الحركة » .

د ــ كأداة لضمان استمرار نشاط « الحركة » في حالة انقضاض السلطة عليها .

٢ ــ **القيادة للأكفأ** : ترفض « الحركة » عند اختيارها للقادة ، القبول بالعمر أو الاسبقية او الاسهام المالي او درجة التحصيل العلمي معيارا لقياس الفاعلية القيادية . وتؤكد « الحركة » بدلا من ذلك على النقاط التالية :

أ ــ مستوى فكري وتجربة تنظيمية أعلى .

ب ــ درجة أعلى من الاصرار على الاستمرار في النضال والاستعداد للتضحية بكل شيء حتى الحياة من أجل تحقيق اهداف « الحركة » .

جـ ــ قدرة أفعل على ممارسة الاعمال اليومية « للحركة » .

د ــ ترفيع القياديين الاكفاء وتنزيل غير الاكفاء منهم .

---

(٣٥) **الدكتور جورج حبش : مقابلة شخصية في ١٦ تموز (يوليو) ١٩٦٧ .**

(٣٦) **حركة القوميين العرب : « مفاهيم تنظيمية » ، ص ٤ ــ ٧ .**

٣ ـ **القيادة من بين الاعضاء : لا تقر** « الحركة » تصرف القادة الذين يفكرون ويخططون من ابراجهم العاجية . بل تطلب من قادتها العيش والعمل مع القاعدة ولا يطلب من الاعضاء ان يضحوا بأنفسهم من اجل قادتهم وانما من أجل الاهداف المشتركة .

كانت المبادىء التنظيمية المذكورة أعلاه ملائمة للجيل الاول من « مجتمع المؤمنين » (٣٧) عندما كان هذا المجتمع محدود العدد . غير انه مع توسع حجم التنظيم وانتشار خلاياه في عدة اقطار عربية ، اصبح من الضروري اعادة النظر في المبادىء التنظيمية المذكورة اعلاه على ضوء الوضع الجديد . وقد أخذ الاعضاء الجدد في « الحركة » ـ وخاصة أولئك الذين كانت لهم بعض الخبرة في مؤسسات سياسية ـ يثيرون الشكوك حول جوانب معينة في نظام الحزب . وكانوا بالدرجة الاولى يتساءلون عن جدوى هذه المبادىء التنظيمية في غياب الديمقراطية داخل الحزب . فمثلا تساءلوا : « من الذي سيحكم فيما اذا كان العضو مؤهلا لمركز قيادي في مراتب « الحركة » أم لا ؟ » (٣٨) كما وشكوا أيضا من ان مبدأ « المركزية الديمقراطية » غير متوافق مع « نظام التعيين » الذي تملأ ، وفقا له ، كافة المراكز الحزبية بمندوبين معينين من فوق . ولعل في هذا النقد كثير من الحقيقة اذ لو عمل فعلا بمبدأ «الديمقراطية المركزية» لتحتم انتخاب المراتب القيادية « للحركة » . وبهذا الصدد ، بحث « المؤتمر القومي » لعام ١٩٦٤ الموضوع بناء على اصرار مبعوثي الجنوب العربي الذين شعروا بضرورة تطبيق الديمقراطية على التنظيم اكثر من أي فرع اخر لان عناصر معينة في « المركز » كانت تعيق خططهم الثورية المستقبلية . وبعد دراسة القضية ، وافق المؤتمر من حيث المبدا على ضرورة اعادة النظر في المبادىء التنظيمية « للحركة » من اجل انجاز الرغبة المتزايدة لتطبيق الديمقراطية في الجهاز الحزبي . وقد أوصى المؤتمر القومي، بالاضافة الى ذلك ، بأن تقوم كافة القيادات الاقليمية بتحضير دراسات دقيقة

---

(٣٧) هذا التعبير الذي يعرف « الحركة » في سنواتها الاولى على أحسن وجه ، استعمل اول الامر على سبيل السخرية من قبل الطلبة البعثيين في الجامعة الامريكية ببيروت . جاء هذا التعليق فيمقابلة شخصية للمؤلف مع منح الصلح في ٢٨ كانون اول (ديسمبر) ١٩٦٨ .

(٣٨) الحكم دروزة : مقابلة شخصية في ٢٩ كانون اول (ديسمبر) ١٩٦٨ .

حين كمنه تطبيق الديمقراطيه على اجهزة الحزب في اقطارهم . واصبحت هذه القضيه منذ ذلك الحين موضع منافسه مراتب الحزب واعضائه في كل اقليم دون ان تتخذ ايه خطوات فعليه من قبل القيادة المركزيه القديمه . (٣٩) وبعد انفراط عقد القياده القوميه في العام ١٩٦٨ : اعتمدت القيادات الاقليمية ـ التي اعادت تشكيل نفسها تحت اسماء مختلفه وتركيبات جديدة ـ الديمقراطية الحزبية الحقيقية اساسا لمبادئها التنظيمية . (وسنذكر المزيد عن تفرعات « الحركة » في مكان اخر من هذا البحث) .

---

(٣٩) محسن ابراهيم : مقابلة شخصية في ١٦ تشرين ثاني (نوفمبر) ١٩٦٨ .

الفصل الخامس

ايديولوجيّة حركة القوميّين العرب

بعد ان تتبعنا الخلفية التاريخية والنواحي التنظيمية والتطورية للحركة القومية العربية في الفصول السابقة ، سيعنى هذا الفصل بتوضيح ملامح المناخ التي تمت فيها صياغة الايديولوجية القومية لتقديم اسهام « الحركة » في عملية البحث عن هذه الايديولوجية .

واول المظاهر البارزة لذلك المناخ البحث الدائر عن هوية قومية. فقد كان للمواطن العادي في مصر في نهاية الاربعينات عدة هويات : فهو احد « المحلبين » عند البريطانيين ، وعربي لدى الاسرائيليين ، ومسلم في المسجد ، « ونكرة » في أعين الطبقة الحاكمة وافريقي من الناحية الجغرافية . وما انطبق على المصري انطبق على رجل الشارع في البلدان العربية الاخرى اذ كانت له ايضا هويات عديدة وان لم تكن بالضرورة الهويات ذاتها التي لاخيه المصري .

ومنذ القرن الماضي ، تأثرت النشاطات الفكرية ـ التي اثرت على احدى هذه الهويات المذكورة اعلاه او غيرها ، أو التي حاولت ان توازن بينها ـ بصورة رئيسية بالنفوذ الغربي . وقد عبر هذا التأثر عن نفسه بطريقتين غريبتين : فمن ناحية ، اتخذ الرفض الوطني للاستعمار الغربي الذي عمل على صياغة هوية وطنية معادية للغرب واحدا من الاشكال التالية : الشرقي ضد الغربي ، المسلم ضد المسيحي ، الروحانيون ضد الماديين ... وهكذا . ومن ناحية ثانية ، كانت الافكار

التي عبر المثقفون بواسطتها عن هذه الفروقات افكارا غربية بكليتها. (١)

ويكمن المظهر الثاني البارز في الحاجة الى الاستمرارية التاريخية. اذ كان الصبي العربي في المدرسة الابتدائية يرى امامه « تاريخين » : تاريخ الامبراطورية العربية المجيد منذ بضعة قرون ، وتاريخ الثلاثين او الاربعين عاما الاخيرة . وقد بقيت الهوة العميقة التي تفصل بين الماضي البعيد وبين الحاضر دون جسر يربط بينهما . وكان من الطبيعي ان يهتز الوعي القومي بسبب هذه الهوة . فقد كانت الوطأة على هذا الوعي من وجود « العرب العظماء » و « العرب الفقراء » ، « العرب الطيبين » و « العرب السيئين » ، شديدة . وكان ضروريا ، من أجل ملء هذه الهوة ، ليس فهم الجذور والاسباب التي ادت الى اضمحلال الامبراطورية العربية فحسب بل وتقييم اسس النفوذ الغربي وايجاد اطار تحليلي لتقدير مختلف المدارس الفكرية التي نشأت في الغرب .

أما المظهر الثالث البارز فحددته العقلية العربية المشبعة بالفكر الديني . فقد شل هذا الفكر العقل الغربي وجعله غير قادر على تفهم التراث العلمي الليبرالي للغرب (٢) حيث ان الرغبة في التأمل والنقاش والبحث ظاهرة غريبة على البيئة العربية التي طغت عليها الرغبة في الايمان والطاعة .

وقد شكلت هذه المظاهر المذكورة اعلاه ، المتطلبات التاريخية التي كان على الايديولوجية التعامل معها ، كما وضعت قيودا كان على الايديولوجية مواجهتها والتغلب عليها . ويجدر التنويه هنا بأن وظيفة الايديولوجية ليست ارضاء المتطلبات الفكرية والحاجات السياسية لمجموعة معينة من الناس فقط ، وانما تطوير هذه المتطلبات والحاجات من أجل تمكين المجموعة من الوصول الى مرحلة أعلى من التطور .

---

(١) انظر مقالة :

Mary Matossian, «Ideology of Delayed Industrialization», in John H. Kantsky (ed.), **Political Change in Underdeveloped Countries** (New York: John Wiley, 1966), p. 254.

(٢) راجع :

R. Bayly Winder (trans.), **The Meaning of Disaster,** by Constantine K. Zurayk (Beirut; Khayat's College Book, Co-op, 1956), p. 34.

فالايديولوجية تجيب على تساؤلات الناس باجوبة تقودهم الى اثـارة تساؤلات جديدة .

وقبل ان تثبت القومية العربية نفسها كايديولوجية ، كانت هناك حركتان سياسيتان مؤثرتان على الجماهير في المشرق العربي : الاخوان المسلمون والشيوعيون . وقد قدمت كلاهما تفسيرات مبسطة عن الكون والتاريخ . وفي حين استخدمت الاولى المشاعر الدينية والتطلع نحـو امبراطورية اسلامية مجيدة، شجعت الثانية روح الثورة ضد التقاليد.

ولقد استهوت الحركتان العقل العربي لان كليهما يقدمان نظامين غير معقدين ومع ذلك شاملين . وفي الوقت نفسه ، يكمن ضعفهما في عرضهما المبسط للامور .

ففي تأكيدهم على الاهمية العظمى للاسلام ، لم يتمكن الاخـوان المسلمـون من تفسير سبب تأخر العرب . وقد باءت كل محـاولات التفسير بالفشل لانها كانت متناقضة . فاذا كان خلاص الامم عن طريق الدين فان المسيحية متفوقة على الاسلام لان الغرب القوي مسيحـي . ومن ناحية ثانية ، اذا كانت الحضارة الغربية منفصلة عن المسيحيـة ، فسبب القوة والتقدم اذن ليس دينيا . ومع انه لا ريب في الاثر الكبير الذي تركته هذه الايديولوجية على الجماهير ، فانها فشلت في السيطرة على مخيلتهم كما فشلت في تقديم نظرية قادرة على تفسير الاحـداث اليومية في العالم .

ولان تطور الدول العربية الاقتصادي متخلف عنه في اوروبـة ، جاء وقع الشيوعية عند الجماهير العربية فجا جدا . فغياب تقاليـد الطبقـة العاملة والتراث الفكري الاشتراكي جعلا التقدمة المبكـرة للماركسية الى العالم العربي تبـدو كمبـدأ ميكانيكي متحجر . وقـد قدمـت الطبقة العاملة على انها البطل الذي طال انتظاره ــ المهـدي المنتظر . ولان مشاكل الدول العربية لم تتركز حول الصراع بين العمال والراسماليـين وانما حول الحاجة الى التصنيع ، فشلت الاحـزاب الشيوعية في لعب أي دور مهم . كما انهم طبقوا حرفيا كافة التعليمات التـي وردتهم من روسية الستالينية . وقـد اعتبرت الشيوعيـة « ايديولوجية » غريبة ، (٣) لان بعض هذه التعليمـات كانـت مغايـرة

---

(٣) من اجل الاطلاع على مناقشة مستفيضة لتجربة الاحزاب الشيوعية في الشرق الاوسط راجع :

Walter Laqueur, **Communism and Nationalism in the Middle East** (New York: Praeger, 1956).

للشعور القومي المتأصل . وكما جاء في الفصل الاول ، كانت الظروف الموضوعية للدول العربية حاسمة في خلقها ايديولوجية ذات جذور ممتدة في الليبرالية والقومية الاوروبيتين .

لقد نما كل من « حزب البعث » و« حركة القوميين العرب » من التيار الرئيسي للايديولوجية الليبرالية . ولهذا توجد فروقات تاريخية حادة بينهما من جهة ، وبين الاخوان المسلمين والشيوعيين من جهة ثانية . فلم يقم اي من الحزبين بصياغة افكاره وفقا لتقاليد الامة كما فعل الاخوان المسلمون ، ولا هما قدما نظرية شاملة كما فعل الشيوعيون . وبدلا من ذلك ، حاول كل من حزب البعث و« الحركة » نقل تطلعات ومصالح واوهام « الطبقة الوسطى » الصاعدة . كما انهم مثلوا انعكاسا لاثر الانتشار المضطرد في تعليم اوسع قاعدة من الناس في البلاد العربية . ومن المهم الاشارة بشكل سريع الى وجوب التمييز بين معنى الطبقة الوسطى كما هي في المفهوم الاوروبي وبين معناها في الظروف الاجتماعية والاقتصادية للبلاد العربية . ففي الاخيرة ، حيث لم تتطور الراسمالية بعد الى نظام تتشكل فيه الطبقات الاجتماعية بصورة دقيقة ، لعبت الطبقة الوسطى ـ التي سميت « بالبورجوازية الصغيرة » بالرطانة السياسية العربية ـ دورا سياسيا كبيرا . فقد شكل المحامون والمدرسون وموظفو الدولة والطلاب العناصر البشرية التي انبثقت عنها الافكار السياسية والايديولوجية . كما تميزت هذه الطبقة ، في الوطن العربي ، ولدى الشعوب النامية الاخرى، بشعورها القومي القوي وبعدم ثقتها بالقطاع الراسمالي النامي في المجتمع . وفوق ذلك ، تميزت بعدائها لايديولوجية الطبقة العاملة والشيوعية بصورة عامة . ويعزى عدم ثقة «البورجوازية الصغيرة» بـ « الراسمالية الوطنية » الى عوامل نفسية سببها الغيرة والخوف الذي يسببه الشعور الوطني من ميل الراسمالية ، بصورة عامة ، الى ربط الاقتصاد الوطني بالاحتكارات الراسمالية في الدول المتقدمة . (٤) كما انهم لا

---

(٤) انظر :

«The National Charter of the United Arab Republic», in Hisham Sharabi, **Nationalism and Revolution in the Arab World** (princeton: Van Nostrand, 1966), p. 130.

الميثاق القومي للجمهورية العربية المتحدة .

يشعرون بالارتياح ازاء الافكار الاشتراكية والشيوعية المتطرفة لانها تبدو غريبة عنهم ولانها تميل نحو قطع علاقاتهم بتاريخ الشعب وتقاليده.

وعلاوة على ذلك ، تنزع « البورجوازية الصغيرة » نحو الفردية ولذا فهي تفتقر الى التماسك الذي تتميز به الطبقة العاملة والطبقة الراسمالية . كما ان مفهومها للعمل السياسي حقيقي بنصفه ووهمي بنصفه الاخر . ومن الامثلة على ذلك مفهومها عن الغرب . فخيالها متقد دوما « للغرب القوي » . وفي الواقع ليس غريبا ان نسمع ممثلا لهذه الطبقة يمتدح الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي في الوقت ذاته . فبالنسبة اليه . كلاهما مهتمان بتجميع واستخدام القوة . وقد يكون متأثرا برجال مثل هتلر وروزفلت وستالين في ذات الوقت . انه يحلم بالحصول على القوة المادية الخاصة بالغرب وتقف في الوقت نفسه . ضد معظم التيارات الفلسفية الغربية . وحسب تفكيره لا توجد علاقة بين القوة القومية التي تحصل عليها الدولة وبين بنائها السياسي والاقتصادي والاجتماعي . وهو يعتقد بأن الحكومة الجيدة هي التي تصنع الدولة القوية وان ما يعتد به ، في النهاية ، هو القوة وليس المبادىء والافكار .

وهكذا تلام الحكومة على كافة العلل الاجتماعية والتباينات الاقتصادية . ولهذا الموقف تجاه الحكومة بشكل عام جذور عميقة في العقلية العربية . فقد تم تدريس التاريخ الاسلامي باعتباره تاريخ سلالات حاكمة وحكام عظام . وكانت صرخة محمد عبده المبكرة حول حاجة الشرق الماسة الى « المستبد الخير » مظهرا من مظاهر هذه العقلية .

كان الناس يتطلعون الى امجاد ماضيهم ، أمجاد القادة العظام . ولم يكن من قبيل الصدفة ان يقوم عفلق بتقديم « البعث » على أنه «عهد البطولة الجديدة» (٥) ويستمر في محورة نقاشاته البليغة اللاحقة حول هذه النقطة . وما قوله المشهور : « كان محمد كل العرب ، فليكن كل العرب محمد » . الا مثال جيد على ذلك (٦) .

كانت هذه هي الخلفية التي استند اليها العقل العربي في تفحصه الافكار السياسية الغربية المختلفة في اعقاب الحرب العالمية الاولى .

---

(٥) ميشيل عفلق ، في سبيل البعث (بيروت : دار الطليعة ، ١٩٦٣)، ص ٢١ .

(٦) المصدر السابق ، ص ٥٢ .

وكانت الليبرالية جذابة جدا للمثقفين العرب الموسرين الذين اكملـوا دراستهم العالية في المعاهد الغربية والذين تمثلت حاجتهم الفكريـة الرئيسية في البحث عن هوية . وهكذا قدم هؤلاء المثقفون القومية على انها من نتاج الليبرالية الاوروبية . والواقع انها اعتبرت هوية قومية يمكن بواسطتها استيعاب الافكار الحديثة حول المجتمع والتكنولوجيا. وقد دعا الكتاب القوميون الاوائل الى القومية العربية كهوية مضـادة للهوية التي تجعل منهم مجرد « محليين » . كما دعوا ، فيما بعد ، الى هويـة عربية شاملة مقابل الهويات القطرية مثل السورية والمصريـة واللبنانية . (٧) ولم يتوسعوا في موضوع الايديولوجية لاخلاصهـم للتقليد الليبرالي . وكان أملهم ان يتمكن الشعب العربي ـ بعد تحرير نفسه من النفوذ الاجنبي ـ من تطوير ايديولوجيته السياسية عن طريق النظام الديمقراطي وضمن اطار أمة عربية موحدة . كما انهم لم يضعوا نظرية سياسية ملموسة ولم يقدموا برنامجا سياسيا للعمل . ومع انهم أثـروا على جيل كامل من المثقفين العـرب ، لم يتمكن القوميـون الليبراليون من التغلغل في وعي الجماهير ولهذا فشلوا في تشكيـل البناء الاساسي للقومية العربية .

وقـد تم بناء هذا الاساس ، فيما بعـد ، من قبل الحزبـين السـياسيين اللذين تبنيا القومية : « حزب البعث » ثم « حركة القوميين العرب » لاحقا . وقد ظهر هذان الحزبان في المقدمة في الوقت الذي كان يتم فيه ايجاد حل للمسألة الاستعمارية بحيث لم يتوجب عليهمـا الصراع مع الهوية التي اعتبرتهم مجرد « محليين » . غير انهم وجدوا أنفسهـم وسط معركة أخرى فرضت عليهم ليس مواجهة الهويـات القطرية فحسب ، وانما الايديولوجيات الخاصة بالشيوعية العـالمية والحرفية الاسلامية . وكانت هاتان الايديولوجيتان قد قامتا ، فـي ذلـك الوقت ، باستغلال حماس الجماهير للوصول الى ايديولوجيـة شاملة تتعلق بالانسان وعالمه ـ وهو الموضوع الذي لم يتعرض له الكتاب القوميون الاوائل .

---

(٧) ساطع الحصري ، آراء وأحاديث في الوطنية والقومية (القاهرة : مطبعة دار الرسالة ، ١٩٤٤) . كذلك : ساطع الحصري ، محاضرات في نشوء الفكرة القوميـة (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٥٦) . وأخيرا : قسطنطين زريق ، الوعي القـومي (بيروت ، ١٩٣٦) .

وهكذا تلخصت المهمة الايديولوجية ، كما فهمها مؤسسو « حركة القوميين العرب » في تطوير خطة شاملة يتمكن بموجبها السوري والمصري او اي مواطن في الدول العربية من امتلاك هوية تشعره بالانتماء الى الامة العربية ككل . (٨) ومثلت هذه المهمة الايديولوجية دوامة صعبة لمؤسسي « الحركة » . ففي الميدان السياسي، كان عليهم القيام باختيار لا بد منه : اما الديمقراطية الليبرالية واما الفاشستية. هذا وسيلاحظ ، فيما بعد ، ان تاريخ « الحركة » الايديولوجي كان تسجيلا لمحاولاتها تحرير نفسها من هذه الثنائية . وبالامكان تقسيم التاريخ الايديولوجي « للحركة » الى ثلاث مراحل : اولا ــ القومية العربية . ثانيا ــ الاشتراكية العربية ، وثالثا ــ الماركسية .

القومية العربية

كان كتاب **مع القومية العربية** أول محاولة قامت بها « حركة القوميين العرب » لصياغة ايديولوجيتها الخاصة بها . وموضوع النقاش الرئيسي الذي يدور حوله الكتاب هو البرهنة على ان القومية لم تكن نتاجا للدول البورجوازية في أوروبة خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر . وانما النتيجة المنطقية لعملية تطور طويلة على امتداد التاريخ البشري . وقد تتبع مؤلفو الكتاب تطور القوميات منذ المراحل الاولى للعائلة والقبيلة و« دولة ــ المدينة » . وكان هدفهم من ذلك اظهار ان القومية لم تكن مجرد مرحلة في تاريخ التطور البشري وانما القوة المحركة وراء التاريخ. كما ادعوا أيضا عدم وجود أية قوة عداها لتفسير التاريخ البشري مدعمين دعواهم هذه بنقاش استهدف رفض التفسيرات الاخرى ومؤكدين على ان المجتمعات البشرية لا تتطور وفقا لخطوط الانقسامات الطبقية او بموجب الخلافات الدينية اذ لا توجد مجتمعات عمالية وراسمالية كما انه لا توجد مجتمعات اسلامية او مسيحية . فالمجتمعات تطورت كأمم وكانت القومية هي القوة المحركة . ومن الواضح ان النقاش بأكمله اعتمد على افتراض ان للقومية علاقة بالطبيعة الانسانية .

---

(٨) من اجل بحث مختلف الافكار القومية يمكن الرجوع الى كتاب :

David E. Apter, **The Politics of Modernization** (Chicago: the University of Chicago Press, 1965).

وتصطدم هذه النظرية بصعوبة حقيقية عندما تحاول ان توضح فضائلها الانسانية . وقد شرح المؤلفون ذلك بالتأكيد على ان القومي الحقيقي يؤمن بحق كافة الشعوب في التطور على طريق قومياتهم الخاصة . فالقومي العربي يحترم كافة القوميات الاخرى . اما لماذا لم يظهر التاريخ هذه النزعات الانسانية في اولئك الذين اعتمدوا مبدا القومية ؟ فالجواب ـ الذي نحاط علما به ـ هو ان هؤلاء لم يكونوا قوميين حقيقيين (٩) . واضافة الى ذلك ، فان المهمة التاريخية للشعب العربي وللشعوب الاسيوية ـ الافريقية هي اعطاء العالم « قومية نقية وحقيقية » . (١٠) لذا فالقومية ، وفقا لهذه النظرية ، ليست هوية وانما عقيدة . وبهذا المجال ، يجدر التنويه :

١ ـ من الواضح ان المفهوم قد ابتعد عن الثنائي الفاشستي ـ الليبرالي بتجاهله . والتأكيد على القومية الحقيقية وغير الحقيقية ابتعد بالمسألة عن القوى الداخلية الفاعلة التي تقود الشعوب على طريق العدوان .

٢ ـ المفهوم عقيدة تسلط الانتباه كله على الامة ولا تذكر شيئا عن القوى داخلها . وبقيت الاسئلة المهمة مثل : اي نظام سياسي يختار واي نوع من الديمقراطية ينادي بها أسئلة دون اجابة .

٣ ـ لقد استغل المفهوم عدم ثقة الجماهير بالافكار السياسية الاجنبية . وهكذا اظهر الضعف الذي يعاني منه ، والمتعلق بموقفه من الطبقات والديمقراطية ، بمظهر رفض المفاهيم السياسية الغربية .

وعلى أية حال ، أعطى التفاؤل الذي تولد عن باندونج وحرب السويس والوحدة المصرية ـ السورية زخما كبيرا للايديولوجية الجديدة . وقد توافقت الرسالة التاريخية للقومية الجديدة زمنيا مع ظهور سياسة الحياد الايجابي .

الاشتراكية العربية

كان فشل الايديولوجية القومية في تحليل القوى الحقيقيةالعاملة

---

(٩) **القوميون العرب ، مع القومية العربية** (القاهرة : ١٩٥٧) .

(١٠) **من العدل ان نذكر بان فكرة الرسالة العربية قدمت لاول مرة من قبل حزب البعث . وبالامكان الرجوع حول هذا الى كتاب ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، ص ١٢٩ ـ ١٥٢ .**

في المجتمع العربي وفشلها ، بالتالي ، في تطوير نظام حياة ديمقراطية احد الاسباب التي ادت الى انهيار الجمهورية العربية المتحدة . وقد نقلت « حركة القوميين العرب »، التي كانت اول حزب قومي ادان الانفصال السوري ، الصراع الايديولوجي الى دوائر أوسع مما جعلها مؤثرة جدا في هذا المجال خلال الفترة ١٩٦١ ـ ١٩٦٧ .

وقد كتب محسن ابراهيم في مجلة **الحرية** اللبنانية في أعقاب الانفصال السوري سلسلة مقالات اعتبرت مع خطب جمال عبد الناصر والميثاق القومي للجمهورية العربية المتحدة الاطار الايديولوجي لما عرف بالاشتراكية العربية (١١) . وبالامكان تلخيص أفكار محسن ابراهيم الرئيسية على النحو التالي :

أظهر انهيار الوحدة بين سورية ومصر عدم صحة الاعتقاد بأن الوحدة القومية هي في مصلحة كافة الطبقات في المجتمع العربي المعاصر . فقد بين الانفصال السوري ـ الذي فجره كبار الاقطاعيين والراسماليين ـ بأن هذه الطبقات ليست مع الوحدة القومية . وادعى محسن ابراهيم بأن هذه الحقيقة لا تنفي المبادىء والفرضيات الاساسية للقومية العربية ، بل انها على العكس من ذلك ، تساعد على اغناء ايديولوجية القومية العربية . فاقتصاديات البلاد العربية لم تتطور بسبب الحكم الاستعماري السابق ، وفقا للمصلحة القومية . وجعل طابعها الاستعماري كبار الاقطاعيين والراسماليين يطورون قوتهم بربط مصالحهم بالمراكز الراسمالية للقوى الاستعمارية . وقد جعلت هذه المصالح من المستحيل على هذه الطبقات ان تلعب الدور الذي لعبته مثيلاتها في أوروبة خلال القرن الماضي ـ أي ان تكون ذات طابع قومي . (١٢) وعلاوة على ذلك ، يتعارض التخطيط الاقتصادي في البلاد النامية مع مصالح البورجوازية في حين تتناقض الوحدة القومية في الوطن العربي مع البورجوازية لان للاخيرة مصلحة في ابقاء البلدان العربية مجزاة. ومما لا شك فيه ان هذا التفسير أضاف عنصرا جديدا

---

(١١) نشرت مقالات محسن ابراهيم فيما بعد في كتابين :
في الديمقراطية والثورة والتنظيم الشعبي (بيروت : دار الفجر ، ١٩٦٢)،
مناقشات حول نظرية العمل العربي الثوري (بيروت : دار الفجر ، ١٩٦٣).

(١٢) والظاهر ان محسن ابراهيم كان متاثرا جدا بكتابات فرانز فانون .

الى القومية الجديدة اذ ابعد الايديولوجيه عن التراث الليبرالي بتأكيده على طابعها المعادي للبورجوازيه ، كما ابعدها عن الفاشستية بالتركيز على دور الجماهير وعلى الحاجة الى الديمقراطية .

ومن الواضح ابتعاد التحليل المذكور اعلاه عن العقيدة المتشددة السابقة وان تم تبنيه ، مع ذلك ، بالروح التقليدية ذاتها . فقد نظر مرة اخرى الى الشعب ككل وخصص كبار الاقطاعيين والراسماليين كأعداء للشعب دون ان يذكر اي شيء عن طبيعة العلاقات بين الطبقات الاخرى .

وقد قيل لنا بأن الاشتراكية العربية مختلفة عن الشيوعية من حيث كونها لا تؤكد حتمية الصراع الطبقي وانه بعد التخلص من الراسماليين والاقطاعيين سيكون بمقدور بقية الطبقات حل خلافاتها بطريقة سلمية .

واخيرا قاتل محسن ابراهيم من أجل توحيد كافة القوى القومية التقدمية في حركة ناصرية واحدة . وقد بحثت تجربة هذه الحركة في الفصل الثالث .

الماركسيـــة

تتمتع الايديولوجيات في الغرب في العادة بحياة طويلة الامد . اما في الدول النامية فان حياتها اقصر . وقد فشل المخطط الناصري لتحقيق الوحدة العربية عن طريق دعم انقلابات الضباط الاحرار في الدول العربية الاخرى في انجاز الوحدة . وكانت حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ انفجارا حطم ايديولوجية القومية والاشتراكية العربية بكليتها . وكانت « حركة القوميين العرب » اول حزب قومي يعترف في اعقاب تلك الحرب بأن ايديولوجيته وبرنامجه السياسي قد هزما واصبحا بلا فائدة . (١٣) وانقلب القوميون العرب على ايديولوجيتهم باعتبارها عقيدة مسؤولة جزئيا عن الهزيمة .

لقد تخلوا عن كافة فرضيات وبناء الايديولوجية القديمة وهيأوا انفسهم ليبداوا من جديد . ومن المهم ملاحظته هنا ان هذا البحث الذاتي لم يأت بصورة مفاجئة في أعقاب حرب حزيران . فقد سبق

---

(١٣) حركة القوميين العرب ، موضوعات خمسة حزيران ، ١٩٦٨ .

واسرنا الى الصراع الايديولوجي الذي انفجر في صفوف « الحركة » منذ العام ١٩٦٢ . وعلى كل حال ، زادت هزيمة العرب في حزيران ١٩٦٧ من حدة الازمة الايديولوجية واعطتها الفرصة للظهور على السطح بشكل حاد .

وقد تم التخلي ، للمرة الاولى في حياة «حركة القوميين العرب» عن المفهوم القديم الذي اعتبر الشعب « كلا » واحدا واعطي للمجتمع العربي تحليل جديد كليا . كما تم التأكيد على خطأ المفهوم القديم الذي اعتبر الناس احرارا لان الشعب حر من النفوذ الاجنبي اذ لا يمكن الحصول على حرية الناس الا اذا نظمت الجماهير نفسها في مجموعات سياسية ونجحت في فرض نقاشات ديمقراطية . وكانت النقطة الرئيسية في هذا التحليل انه لا الحكومات التقدمية في مصر وسورية والعراق والجزائر ولا « حزب البعث » و« حركة القوميين العرب » والاحزاب الشيوعية تمثل مصلحة الجماهير . فهؤلاء يمثلون مصالح طبقة البورجوازية الصغيرة التي هزم برنامجها السياسي في حرب حزيران . هذا وقد استخدمت ادوات التحليل الماركسية واشير الى ان حكومات البورجوازية الصغيرة التي كانت لها مصلحة في تقليص الاقطاعيات الكبيرة والراسمالية ليست لها مصلحة في حكم البلاد بصورة ديمقراطية لان الديمقراطية ستعرض الامتيازات الجديدة التي اكتسبتها للخطر . وعلاوة على ذلك ، جعلت هذه الامتيازات انظمة البورجوازية الصغيرة غير قادرة على استمرار الحرب ضد اسرائيل حتى النهاية .

يفترض اساس هذا المنطق ان الانظمة العسكرية في الاقطار العربية تمثل في الحقيقة والواقع مصالح طبقة البرجوازية الصغيرة . ولكن تاريخ هذه الانظمة لا يدعم هذه الفرضية ، وعلى العكس من ذلك، فان هنالك سببا للاعتقاد بأن هذه الانظمة تعمل ضد مصلحة قطاعات كبيرة من الشرائح الدنيا للطبقة الوسطى . هذا ولا يتجاهل التحليل هذه الحقيقة كليا ، اذ انه يسقط ، في اماكن اخرى ، الفرضية المشار اليها قائلا : بان الانظمة العسكرية تمثل «عقلية» البرجوازية الصغيرة. ان النقلة المفاجئة الى الماركسية جديدة نسبيا ومن الصعب الان معرفة اثرها بالكامل . ومع ذلك هنالك نقطتان تجدر الاشارة اليهما :

١ ـ النقلة مفيدة ، بمعنى انها تخلصت من العقيدة القديمة ، وتشجيع الاستقصاء الحر امر جيد بحد ذاته . ومع ذلك فانه من غير الممكن عدم اعتبار الخطر الكامن في ابدال عقيدة باخرى .

٢ – قد تبدو النقلة الكبيرة من القومية نحو الماركسية ، خلال فترة وجيزة ، غريبة جدا بالنسبة للمراقب من الخارج ، ومع ذلك فان نظرة اقرب الى الظروف العنيفة التي كانت سائدة في الشرق الاوسط قد تزود المرء بقدرة على التفهم . فمن ناحية ، يدفع التشوش والغليان الشديدان الناس الى البحث عن افكار جديدة ، ومن ناحية اخرى ، فان العقلية الدينية في اوساط الشعب مستعدة لتقبل الايديولوجيات كوسيلة للخلاص . ومن المألوف جدا في الشرق الاوسط ان تلام « الاشتراكية العربية » ، وليست كفاءة الجيوش العربية على هزيمة حزيران .

الفصل السادس

الخلاصة

كانت « حركة القوميين العرب » احدى التيارات الرئيسية في الحركة العربية القومية التي تمثل هدفها الاول في الوحدة القومية والاستقلال . وقد جاء نشوء « الحركة » في أوائل الخمسينات تجديدا لمفاهيم ومثل الجيل السابق . وعلى غرار مجموعة القوميين العرب المضمحلة ، التي نشطت بين الحربين العالميتين في كافة أرجاء الهلال الخصيب ، اعطت « حركة القوميين العرب » الاولوية لقضية الوحدة القومية على كافة القضايا الاخرى . وقد اعتبر مؤسسو « الحركة » خلق دولة عربية موحدة الهدف الاساسي الذي يؤدي الى تحرير الارض العربية المغتصبة والى انشاء حياة افضل للاجيال القادمة .

لقد نمت « حركة القوميين العرب » من الحلقات الدراسية التي كان يعقدها الدكتور قسطنطين زريق في الجامعة الاميركية ببيروت حيث تشرب قادتها المؤسسون الافكار التجريدية الخاصة بالمدرسة الاولى من القوميين العرب، لذا لم يعيروا اهتماما كبيرا لقضايا اقتصادية واجتماعية معينة في تلك المرحلة الاولى .

كان طابع « الحركة » في حداثتها شبيها بمجموعات طلبة الجامعة الالمان الذين قاتلوا تحت رايات الوحدة والحرية منذ قرن مضى. والواقع ان القوميين العرب اقتدوا بتجربة الطلاب الالمان واعتقدوا ان السبيل الى تحقيق اهدافهم القومية ، يكمن في التعليم والكفاح

المسلح . والفارق الوحيد بين الاثنين هو عدم تعامل القوميين العرب مع الحقائق الصعبة للحياة . فقد آمنوا بأن النضال من اجل الوحدة العربية كان عبارة عن مهمة سهلة بالامكان تحقيقها في المستقبل القريب . كما اعتقدوا ، في وقت ما ، بان اغتيال الملك عبدالله والقادة المساومين سيؤدي الى تحقيق الاهداف المرجوة .

هذا وقد اضاف انتشار القوميين العرب في الاقطار العربية المجاورة عناصر جديدة الى « الحركة » مما ادى ، في النهاية ، الى تحويلها من مجموعة طلاب مناضلين الى حزب سياسي . ففي الاردن تعززت « الحركة » بعدد من السياسيين الاكبر سنا الذين كان لدى بعضهم خبرة سابقة في « الحزب العربي » بفلسطين. وقد ادى التوجه الابوي والبراغماتي لهؤلاء السياسيين الى الحد من نشاط الاعضاء الشباب . واخذوا، بدلا من تبني الاساليب الثورية السرية، يتنافسون على السلطة ، بل انهم شجعوا « الحركة » وفي وقت ما على خوض الانتخابات النيابية . ولولا سياسة الملك الخرقاء في أعقاب حل حكومة النابلسي لنجح العاملون الجدد في دمج الفرع الاردني « لحركة القوميين العرب » بالنظام السياسي . الا ان الضربة التي انزلت بتنظيم « الحركة » افقدت السياسيين الاكبر سنا مراكزهم الحساسة فيها وان بقي تراثهم معها لسنوات عديدة . وبالفعل استمر بعض هؤلاء السياسيين في الاحتفاظ باحترام « الحركة » ودعمها المعنوي .

وفي العراق ، اتخذت « حركة القوميين العرب » خطوة لم يسبق لها مثيل في تاريخ « الحركة » الا وهي العمل مع العسكريين . وقد ادى ذلك الى توريط « الحركة » في سلسلة من الانقلابات الفاشلة . وفي حين فشل فرع «الحركة» في العراق من الاستفادة من العسكريين لتحقيق التغييرات الثورية المرجوة، استفادت الفروع الاخرى ـ وخاصة الفرع السوري ـ من علاقة « الحركة » بالعسكريين في العراق ليدخل السياسة العربية من اوسع أبوابها . كما استفادت القيادة القومية « للحركة » من هذه العلاقة الخاصة بعسكريي العراق فيما بعد ، لكسب ود الرئيس جمال عبد الناصر .

وامتدت « الحركة » الى مصر وليبيا والسودان واليمن ، ولكنها لم تتجاوز ، في كل من هذه الاقطار عدا اليمن ، كونها حركة طلابية . ففي اليمن، تعززت بعدد من السياسيين المجربين مثل قحطان الشعبي الذي أعطى « الحركة » تنظيما سياسيا واحساسا بالاتجاه . وسرعان ما زودت اليمن ـ والاهم من ذلك عدن واتحاد الجنوب العربي ـ «الحركة» بساح القتال اللازمة لاختبار نظرياتها في الكفاح المسلح وفي حرب

العصابات . والواقع ان انتصار « جبهة التحرير القوميـة » في جنوب اليمن – التي تسيطر عليها « الحركة » – أعطى حافزا اكبر « للحركة» لتطوير نظرياتها الثورية وتطبيقها في أماكن اخرى من الوطن العربي .

وقد كان لتجربة قيام وانهيار الجمهورية العربية المتحدة اثر كبير على « حركة القوميين العرب » . فعندما تشكلت ج.ع.م. ، ربطـت « الحركة » مصيرها بمصير الدولة الجديدة ، وتطلعت في الواقع ، الى ان تصبح القوة الضاربة لها في كل من العراق والاردن ولبنان . وعندما انهارت الجمهورية العربية المتحدة ، ارادت « الحركة » ان تلعـب دور المخلص لتلك الدولة . غير ان « الحركة » فشلت في كلا الدورين : دور القوة الضاربة ودور المخلص .

لقد عجزت « الحركه » عن لعب الادوار التي كان عليها القيام بها لا بسبب ضعفها – ولو انها لم تكن بتلك القوة – وانما ، وهـــذا هـو الاهم، لان الظروف السائدة لم تكن تساعد على قيام قوةعربية وحدوية. فقد كانت القوى المحلية والسلطات الاجنبية ، على حد سواء ، تعمل حينئذ على قهر الجمهورية العربية المتحدة .

هذا وقد ادى انهيار ج.ع.م. الى تفسخ الحركة الناصرية فـي الوطن العربي . ولم تتمكن « الحركة » من النجاة من هـــذا الوبال اذ برزت الخلافات بين الجناح القومي والجناح اليساري في مؤتمر حزبي عقد بعد انفصال سورية عن الجمهورية العربية المتحدة . كمـــا ادت هزائم اخرى في العراق وسورية والاردن الى زيادة حـدة الانقسامات داخل « حركة القوميين العرب » . واخيرا نسفت حـرب حزيران مـا تبقى من الروابط القليلة التي كانت تشد الاجنحة المختلفـة بعضها الى بعـــض .

وظهرت في ذلك الحين ، ثلاثة اتجاهات : الاول ايد الخط الذي سلكته « الحركة » ، والثاني رفض الخط القديم على انه مسؤول كليـا عن الهزيمة ، والثالث – بالرغم من اعترافه بنقـــاط ضعف الخـط القديم – لم يخص هذه النقائص بالمسؤولة الكلية عن الهزيمة ، بل انحى باللائمة ، بدلا من ذلك على القوى (العالمية) المتفوقة المعادية للامـــة العربية . وعلى اية حال ، تمزقت المنظمة الام وظهرت الاجزاء القديمة كمجموعات سياسية مستقلة .

ومما تجدر ملاحظته هنا هو ان جميع المجموعات التي ظهرت بعد انتهاء وجود المنظمة الام ، التزمت بالماركسية – اللينينية . وهـــذه المجموعات هي « الجبهة الشعبية لتحريـــر فلسطين » و « الجبهـــة

الشعبية الدمقراطية لتحرير فلسطين » و « الجبهة الشعبية لتحرير الخليج المحتل » و « منظمة الاشتراكيين اللبنانيين » و « حزب العمل الاشتراكي العربي » . ويعزى هذا الاتجاه نحو الماركسية ـ اللينينية الى العوامل التالية :

١ ـ العمل المجد لمجموعة من اعضاء الحزب الذين تشبعوا بالفكر الماركسي . ومن المعتقد ان هؤلاء الاعضاء المؤثرين مثل محسن ابراهيم ونايف حواتمة ـ وكلاهما عضو في المكتب السياسي « للحركة » ـ استخدما الماركسية اداة للتحليل منذ العام ١٩٥٩ .

٢ ـ قرارات التأميم في الجمهورية العربية المتحدة في العام ١٩٦١ التي ادت الى اعتبار البرجوازية قوة معادية لقضية الوحدة .

٣ ـ انفصال سورية عن الجمهورية العربية المتحدة بفضل التحالف الاقطاعي ـ البرجوازي وتأكيده للاعتقاد السابق بان الطبقة البرجوازية لا يمكن الوثوق بها بعد ذلك .

٤ ـ الدور الذي لعبه الرئيس جمال عبد الناصر في تقليص الهوة بين الفكر القومي والفكر الاشتراكي . وفي هذا المجال كان « للميثاق القومي » اهمية خاصة اذ اعلن ان الاشتراكية هي الطريق الى الحرية الاجتماعية وان « الاشتراكية العلمية » هي الاسلوب الملائم لايجاد النهج الصحيح الذي يقود الى التقدم .

٥ ـ قرارات التأميم والانفصال السوري اسهما ايضا في تسليط الشكوك على البرجوازية الصغيرة كقوة وحدوية . ومما يجدر تذكره انه في حين ايد جناح الحوراني في حزب البعث اعادة النظر في قرارات التأميم ، عارضت مجموعة عفلق ، اتخاذ اي موقف . وكان عفلق قد صرح قائلا : « لا يمكن ان تكون اشتراكية بدون اشتراكيين » .

٦ ـ لقد كشفت احداث حزيران ١٩٦٧ عن وجود صلة واضحة بين اسرائيل والاستعمار والقوى الرجعية . كما خبر القوميون العرب حدود السياسة الناصرية بشكل جيد جدا ، ومن هنا كانت محاولتهم لشن حرب تحرير طويلة الامد مستفيدين من مبادىء (ماو) و (جياب) و (جيفارا) . وبسبب كون الفكر الماركسي ـ اللينيني مصدر مبادىء الحرب الثورية هذه ، اعتنقت المجموعات التي تفرعت عن « حركة القوميين العرب» بصورة متزايدة الماركسية ـ اللينينية على انها السلاح الايديولوجي القادر على تحدي العدو . وقد وجدوا في كوبا وفيتنام المثل العملي ، على كيفية نجاح شعب نام في مواجهة التفوق التكنولوجي والجبروت العسكري لدولة كبرى .

٧ ـ كان لدعم المعسكر الاشتراكي حقوق العرب في فلسطين ولتايد قوى اليسار في الغرب لحركة المقاومة وقعهما الكبير على القوميين العرب .

هذا وقد اعلنت المجموعات المنبثقة عن « حركة القوميين العرب » للاسباب المذكورة اعلاه ، التزامها العلني بالموضوعة القائلة ، بان الثورة الماركسية في العالم العربي شرط اساسي للانتصار على الصهيونية والامبريالية والرجعية العربية . وليس من حاجة هنا للتفصيل في بحث الدوافع العميقة الواعية وشبه الواعية ، لدى الشباب العربي الثوري باستثناء التأكيد على انها تتضمن عنصر الاحباط ، فهم يعتقدون بان الغرب استهلك تماما احزاب وانظمة البرجوازية الصغيرة ، وبالتالي فلا فائدة ترجى من ربط مصيرهم بمصير هذه القوى . وعلاوة على ذلك ، يؤكد هؤلاء على ان الانظمة الوطنية الحالية اثبتت عدم قدرتها على تحريك الجماهير وتنظيمها لمواجهة العدو . ولذا فهم يتطلعون الى تعبئة وحشد الجماهير ، اي العمال والفلاحين ، من خلال تبني ايديولوجيتهم : الماركسية ـ اللينينية .

وحتى الان ، لم تحقق هذه المجموعات سوى القليل من النجاح . ذلك لانه من الضروري أولا توفر « طبقة سياسية » تعمل على مد هذه المجموعات بالوسيلة التي تمكنها من تحقيق اهدافها . فمن ناحية ، وبسبب طبيعة الوطن العربي الزراعية ، نجد ان غالبية الفلاحين جمهور امي غير فعال . ومن ناحية ثانية ، لا تزال الطبقة العاملة تفتقر الى الحد الادنى من التنظيم . ومما لا شك فيه أن المجموعات المنبثقة عن « حركة القوميين العرب » تواجه دوامة حقيقية . فهي من جهة لا ترى املا الا في تعبئة وحشد الجماهير لمواصلة النضال من اجل تحقيق الاهداف القومية ، ومن جهة اخرى ، تفتقر الى الادوات التنظيمية اللازمة للقيام بالعمل .

ويبقى ان نرى ما اذا ما كان الدور الذي تلعبه البرجوازية الصغيرة في النضال القومي سيكون موضع اعادة نظر من قبل هذه المجموعات . فقد لعبت هذه الشريحة من الشعب دورا مهما في جميع الحركات التحررية الوطنية وربما تثبت ، في النهاية ، تقبلها للافكار الجذرية التي يبسطها القوميون العرب . واذا ما امكن دمج البرجوازية الصغيرة في الحركات التحررية الوطنية ، فانها ستؤمن افاقا جديدة عن طريق امداد هذه الحركات بالكوادر والادوات التنظيمية من اجل تعبئة وحشد الطبقات العاملة الاقل وعيا .



أ ـ المصادر الاولية

١ ـ الكتب :

الحكم دروزة . **الشيوعية المحلية ومعركة العرب القومية** . بيروت : دار الفجر الجديد ، ١٩٦١ .

الحكم دروزة وحامد الجبوري . **مع القومية العربية** ، بيروت : دار الفجر الجديد ، ١٩٦٠ .

نايف حواتمة . **أزمة الثورة في الجنوب اليمني** ، بيروت : دار الطليعة ، ١٩٦٨ .

نايف حواتمة ، **حركة المقاومة الفلسطينية في واقعها الراهن** . بيروت : دار الطليعة ، ١٩٦٩ .

نايف حواتمة . **حول أزمة حركة المقاومة** ، بيروت : دار الطليعة ٦٩٦٩ .

هاني الهندي . **حول الصهيونية واسرائيل** . بيروت : دار الطليعة . ١٩٧١ .

هاني الهندي ومحسن ابراهيم . **اسرائيل : فكرة ، حركة ، دولة** . بيروت . دار الفجر الجديد . ١٩٥٨ .

محسن ابراهيم . **لماذا منظمة الاشتراكيين اللبنانيين ؟** بيروت : دار الطليعة . ١٩٧٠ .

محسن ابراهيم . **في الديمقراطية والثورة والتنظيم الشعبي** . بيروت : دار الفجر الجديد ، ١٩٦٢ .

محسن ابراهيم . **مناقشات حول نظرية العمل الاشتراكي العربي .** بيروت : دار الفجر الجديد . ١٩٦٣ .

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين . **على طريق الثورة الفلسطينية .** بيروت : دار الطليعة . ١٩٧٠ .

محمد كشلي . **حول النظام الراسمالي واليسار في لبنان .** بيروت : دار الطليعة . ١٩٦٧ .

اللجنة التنظيمية للجبهة القومية . **كيف نفهم تجربة اليمن الجنوبية الشعبية ؟** بيروت : دار الطليعة . ١٩٦٩ .

٢ ــ أ ــ كراسات حركة القوميين العرب :

أيها الشيوعيون اين ايمانكم بالاتحاد الفدرالي ؟ بغداد : ١٩٥٩ .

الحركة العمالية في جنوب اليمن ومخططات الاستعمار الجديد . اليمن ١٩٦١ .

الحياد الايجابي . بيروت ١٩٥٩ .

العراق وأعداء الوحدة . بيروت ١٩٥٩ .

اتحاد الامارات المزيف . اليمن ١٩٦١ .

لنتحد جميعا لتحطيم الخطر الشيوعي . بغداد ١٩٥٩ .

معركة الحرية في الاردن . عمان ١٩٥٧ .

مصر وسورية جمهورية واحدة . دمشق ١٩٥٨ .

سنة من كفاح الاردن . عمان ١٩٥٧ .

الوحدة طريقنا . بغداد ١٩٥٨ .

الوحدة ثورة ومسؤولية . بيروت ١٩٥٩ .

ب ــ كراسات الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين :

الفكر العسكري للجبهة الشعبية . بيروت ١٩٧٠ .

الجبهة وقضية الانشقاق . بيروت ١٩٧٠ .

الجبهة الشعبية والعمليات الخارجية . بيروت : الهدف . بدون تاريخ .

المقاومة ومعضلاتها . بيروت : الهدف . بدون تاريخ .

رحلة الاستسلام . بيروت ١٩٧٠ .

الثورة والعمال . عمان ١٩٧٠ .

٣ ــ التقارير السياسية :

الامانة العامة لحركة القوميين العرب . « تقرير الامانة العامة عن الجنوب العربي والاردن والعراق » . بيروت ١٩٦٥ . ص ١ ــ ١٩ .

« تقرير عن اعمال المؤتمر القومي للحركة » . بيروت ١٩٦٥ . ص ١ ــ ٥٦ .

« تقرير عن اجتماع اللجنة التنفيذية المنعقد في ٢٧ أيلول ١٩٦٥ » . بيروت ١٩٦٥ ، ص ١ ــ ٤٤ .

« تقرير حول اجتماع اللجنة التنفيذية بين ٦ ــ ١١ تموز ١٩٦٦ » . ص ١ ــ ٣٩ .

« تعميم لقيادات الاقاليم حول اجتماع اللجنة التنفيذية المنعقد في ١٤ نيسان ١٩٦٥ » . بيروت ١٩٦٥ ، ص ١ ــ ٣٢ .

لجنة الادارة . « تعميم حول مؤتمر الفتيات » . ص ١ ــ ٣ .

لجنة الادارة . « تقرير اللجان الرئيسية في الحركة» . بيروت ١٩٦٠ . ص ١ ــ ٥٣ .

لجنة الادارة . « تعميم حول مخططنا لقيادة فلسطين » . بيروت ١٩٦١ . ص ١ ــ ٢٢ .

لجنة الادارة . « تعميم حول التقرير السنوي للمؤتمر القومي » . بيروت ص ١ ــ ٢٢ .

اللجنة التنفيذية . « الحركة في الاقاليم » . بيروت ١٩٦٢ . ص ١ ــ ٣١ .

اللجنة التنفيذية . « المعركة العربية في ظروفها الجديدة » . بيروت ١٩٦١ . ص ٣٢ ــ ٥٣ .

اللجنة التنفيذية . « التقرير السنوي لعام ١٩٦١» . بيروت ١٩٦١ . ص ١ ــ ٥٣ .

اللجنة التنفيذية . « التقرير السياسي الصادر عن المؤتمر القومي الاستثنائي لعام ١٩٦٣ » . بيروت ١٩٦٣ . ص ١ ــ ٤٣ .

« التقرير السياسي الصادر عن المؤتمر القومي الاستثنائي لعام ١٩٦٣ » . الجزء الثاني ، بيروت ١٩٦٣ ، ص ١ ــ ٥٢ .

٤ ــ تعاميم حركة القوميين العرب :

« حول العلاقات بين الحركة الوطنية بالجنوب » . ص ١ ــ ٧ .

« حول موقف حزب البعث من مسألة الوحدة بين مصر وسورية » . ص ١ — ١٣ .

« الاتحاد القومي » ص ١ — ٣ .

« المرحلة القومية الحاضرة واهدافها » . ص ١ — ٤ .

« المرحلية على ضوء التطورات الاخيرة في البلاد العربية » . ص ١ — ٤ .

« موقعنا من الاشتراكيين العسكريين » . ص ١ — ٨ .

« نتائج الانتهاكات في سوريا » . ص ١ — ٧ .

« تعميم حول اسم الحركة » . ص ١ — ٣ .

« التطورات الاخيرة في حزب البعث » . ص ١ — ٤ .

« التطورات الاخيرة في الجمهورية العربية المتحدة » . ص ١ — ٦ .

٥ — محاضرات حركة القوميين العرب :

« الاهداف العربية الرئيسية » . ص ١ — ٤ .

« اوليات في التنظيم : كيف تناضل » . ص ١ — ٤١ .

« اوليات في التنظيم : الخلية » . ص ١ — ٤ .

في التثقيف القومي ، ص ١ — ١٤٤ .

« الحل السياسي اولا » . ص ١ — ٣ .

« حركتنا » ص ١ — ٨ .

« الامكانيات العربية ومسؤوليتنا لتحقيق اهداف الامة » . ص ١ — ٥ .

« الاشتراكية القومية » . ص ١ — ٥ .

« كيف تقود خلية ؟ » ص ١ — ٦ .

« معالم الحياة الحزبية السليمة » . ص ١ — ٤ .

« مفاهيم تنظيمية » . ص ١ — ٢١ .

« مرحلية النضال العربي — شعاراتها » . ص ١ — ١٦ .

القومية وحركة القومية العربية . ص ١ — ١١٨ .

« رسالة الى اعضاء الخلايا » . ص ١ — ٥ .

« روحية النضال العربي » . ص ١ — ٩ .

« العضو في ادارة المجتمع » . ص ١ — ٤ .

- مقابلات شخصية :

صبحي عبدالحميد ٢٩ حزيران ١٩٧٠ .
اسعد عبدالرحمن ٢ تموز ١٩٧٠ .
سلام أحمد ١٠ تشرين ثاني ١٩٦٨ .
مجهول ٢٨ كانون أول ١٩٦٨ .
مجهول ١٧ تموز ١٩٦٧ .
مجهول ١٨ تموز ١٩٦٧ .
مجهول ٢١ تموز ١٩٦٧ .
مجهول ٢٢ تموز ١٩٦٧ .
مجهول ١٨ تشرين ثاني ١٩٦٨ .
مجهول ٩ تشرين ثاني ١٩٦٨ .
مصطفى بيضون ١٧ تشرين ثاني ١٩٦٨ .
نديم البيطار ٢٨ تموز ١٩٦٨ .
الحكم دروزة ٢٩ كانون أول ١٩٦٨ .
جهاد ضاحي ٣٠ حزيران ١٩٧٠ .
حمد الفرحان ٢٣ حزيران ١٩٧٠ .
هاني فارس ٢ آب ١٩٧٠ .
جورج حبش ١٦ تموز ١٩٦٧ ، ٢٤ ، ٢٥ تموز ١٩٧٠ .
وديع حداد ٢١ حزيران ١٩٧٠ .
وليد حمدي ٢٠ حزيران ١٩٦٨ .
نايف حواتمة ١٦ تشرين ثاني ١٩٦٨ .
هاني الهندي ٢٢ ، ٣٠ حزيران ١٩٧٠ .
وليد الحسيني ٢٨ آب ١٩٧٠ .
حسنين ابراهيم ١٦ تشرين ثاني ١٩٦٨ .
حامد الجبوري ٦ آذار ١٩٦٨ .
يحيي الجبوري ٧ آذار ١٩٦٨ .
احمد الخطيب ١٢ تشرين ثاني ١٩٦٨ .
خالد المسعود ١١ تشرين ثاني ١٩٦٨ .
ثابت المهايني ١١ تشرين ثاني ١٩٦٨ .
سامي منيس ١٢ تشرين ثاني ١٩٦٨ .
هاشم علي محسن ٢٤ حزيران ١٩٧٠ .
وميض عمر نظمي ٢٦ كانون ثاني ١٩٦٩ .
عبدالحميد السراج ٢٨ حزيران ١٩٧٠ .

قحطان الشعبي ١٦ تموز ١٩٦٧ .
زاهد شفيق ١ حزيران ١٩٦٨ .
منح الصلح ٢٨ كانون اول ١٩٦٨ .
طلعت صدقي ١٢ تشرين ثاني ١٩٦٨ .
عبدالفتاح الزلط ٥ تشرين ثاني ١٩٦٨ .

٧ ــ صحف الحزب الرسمية :

الهدف (اسبوعية : بيروت) ١٩٦٩ ــ ٣ كانون أول ١٩٧١ .
الحرية (اسبوعية : بيروت) ٤ كانون ثاني ١٩٦٠ــ ٥ تموز ١٩٧١ .
الرأي (اسبوعية : عمان) ٢٤ كانون ثاني ١٩٥٤ ــ ٩ آب ١٩٥٤ .
الطليعة (اسبوعية : الكويت) ١٩٦١ ــ ١٩ حزيران ١٩٧٠ .
الوحدة (نصف شهرية : بغداد) آب ١٩٥٨ ــ كانون ثاني ١٩٦٣ .

ب ــ المصادر الثانوية : باللغة العربية

١ ــ الكتـــب :

عبدالله عبدالدايم . **الاشتراكيـــة والديمقراطية** . بيروت : دار الآداب ، ١٩٦١ .
ميشيل عفلق . **في سبيل البعث** . بيروت : دار الطليعة ، ١٩٥٩ .
ميشيل عفلق. **معركة المصير الواحد**. بيروت: دار الآداب، ١٩٥٩ .
مجهول . **اليسار الحقيقي واليسار المغامر** . بيروت : دار الفارابي.
احمد بهاء الدين . **الثورة الاشتراكية . القاهرة** : المكتبة الثقافية ، ١٩٦٢ .
نديم البيطار . **الايديولوجية الانقلابية** . بيروت : المؤسسة الاهلية ، ١٩٦٤ .
نديم البيطار. **من النكسة الى الثورة**. بيروت: دار الطليعة، ١٩٦٨ .
الميثاق . القاهرة : قسم الاعلام .
نبيه فارس وحسين توفيق . **هذا العالم العربي** . بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٥٣ .

سعدون حمادي . **نحن والشيوعية في الازمة الحاضرة** . بيروت : دار الطليعة .

ساطع الحصري . **آراء واحاديث في الوطنية والقومية** ، القاهرة : مطبعة الرسالة ، ١٩٤٤ .

ساطع الحصري . **محاضرات في نشوء الفكرة القومية** . بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٥٦ .

كلوفيس مقصود . **معنى الحياد الايجابي** . بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٦٠ .

كلوفيس مقصود . **نحو الاشتراكية العربية** . بيروت : دار منيمنة . ١٩٥٨ .

كلوفيس مقصود . **أزمة اليسار العربي** . بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٦٠ .

منيف الرزاز . **معالم الحياة العربية الجديدة** . بيروت : دار العلم للملايين .

منيف الرزاز . **الحرية ومشكلتها في البلدان المتأخرة** . بيروت : دار العلم للملايين .

منيف الرزاز . **لماذا الاشتراكية الآن ؟** (بدون تاريخ) .

فؤاد الركابي . **على طريق الثورة** . القاهرة: الدار القومية، ١٩٦٢ .

٢ ــ مجموعات وثائقية :

نضال البعث . الجزء الاول (١٩٦٣) ، الجزء الثاني (١٩٦٥) ، الجزء الثالث (١٩٦٤) ، الجزء الخامس (١٩٦٥) ، الجزء السادس (١٩٦٥) ، الجزء السابع (١٩٦٥) ، بيروت : دار الطليعة .

٣ ــ المقالات :

مجيد عبدالرضا . « حول الحزب والثورة » **الطريق** . الجزء الثاني (١٩٧١) ص ٦ ــ ١٦ .

سيسيل حوراني . « مستقبل الحكم الدستوري في البلاد العربية » **الابحاث** (آذار ١٩٥٣) ص ٤٥ ــ ٦٥ .

وفيق رمضان . « جورج حبش » **ملحق النهار** (٢١ حزيران ١٩٧٠) ص ٣ ــ ٤ .

طلال سلمان . « حوار مفتوح مع جورج حبش » **الصياد** (٣٠ كانون ثاني ١٩٦٩) ص ١٦ ــ ٢١ ، ٧٠ ــ ٧١ .

ج ـ المصادر الثانوية : باللغة الانجليزية

1 — BOOKS :

Abu Jaber, Kamel. **The Arab Ba'th Socialist Party : History, Ideology and Organization.** New York, Syracuse University Press, 1966.

Ahmad, Jamal Mohammed. **The Intellectual Origins of Egyptian Nationalism.** London: Oxford University Press, 1960.

Almond, Gabriel A. and James S. Coleman (eds.), **The Politics of the Developing Areas.** Princeton, N.J. : Princeton University, 1960. pp. 3-64, 369-454.

Antonius, George. **The Arab Awakening.** New York: Capricon Books, 1965.

Apter, David E. **The Politics of Modernization.** Chicago : The University of Chicago Press, 1965.

Badeau, John S. **The American Approach to the Arab World.** New York : Harper and Row.

Berger, Morroe. **The Arab World Today.** New York : Doubleday, 1962.

Berque, Jacques. **The Arabs : Their History and Future.** New York: Praeger, 1964.

Binder, Leonard. **The Ideological Revolution in the Middle East.** New York: John Wiley, 1964.

Campbell, John C., **Defense of the Middle East: Problems of American Policy.** New York: Praeger, 1961.

Cremeans, Charles D. **Arabs and the West: Nasser's Arab Nationalist Policy.** New York: Praeger, 1960.

Curtis, Michael (ed.). **People and Politics in the Middle East.** New Brunswick, N.J.: Transaction Books, 1971.

Copeland, Miles. **The Game of Nations: The Amorality of Politics,** New York: Simon and Schuster, 1969.

Easton, David. **A Framework for Political Analysis.** Englewood Cliffs, N.J.: Prentice Hall. 1965.

Ehrman, Henry W. (ed.), **Democracy in a Changing Society.** New York: Praeger. 1964, pp. 177-210.

Fisher, Syndey Nettleton, **The Middle East: A History,** New York: Alfred E. Knopf. 1968.

——— (ed.). **The Role of the Military in the Middle East.** Columbus: Ohio State University, 1963.

Fundamentals of Marxism-Leninism. Moscow: Foreign Languages Publishing House, 1963.

Hajjar, George S. **Imperialism and Revolution in the Middle East.** Toronto: Tahrir Press, 1970.

Haim, Sylvia G. (ed.). **Arab Nationalism: An Anthology** (Berkeley and Los Angeles: University of California Press; 1960).

Halpern, Manfred. **The Politics of Social Change in the Middle East and North Africa.** Princeton: Princeton University, 1963.

Hourani, Albert. **Arabic Thought in the Liberal Age 1798-1939.** London: Oxford University Press, 1962.

Hurewitz, S.C. **Middle East Politics: The Military Dimension.** New York: Praeger, 1969.

Al-Husri, Khaldun S. **Three Reformers: A Study, in Modern Arab Political Thought,** Beirut: Khayat, 1966.

Karpat, Kamel (ed.). **Political and Social Thought in the Contemporary Middle East.** New York: Praeger, 1968.

Kantsky, John H. (ed.). **Political Change in Underdeveloped Countries.** New York: John Wiley, 1966.

Kerr, Malcolm H. **The Arab Cold War, 1958-1967.** London: Oxford Univerity Press, 1968.

Khadduri, Majid. **Independent Iraqi A Study in Iraqi Politics from 1932-1958.** London: Oxford University Press, 1960.

——— **Political Trends in the Arab World.** Baltimore: The John Hopkins Press, 1970.

——— **Republican Iraq: A Study of Iraqi Politics Since the Revolution of 1958.** London: Oxford University Press.

Kohn, Hans. **The Age of Nationalism: The First Era of Global History.** New York: Harper and Row, 1968.

La Palombara, Joseph and Myron Weiner (eds.) **Political Parties and Political Development.** Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1966.

Laqueur, Walter Z. **Communism and Nationalism in the Middle East.** New York: Praeger, 1956.

——— (ed.). **The Middle East in Transition,** N.Y.: Praeger, 1958.

Lerner, Daniel and Lucille Pevsner. **The Passing of Traditional Society.** New York: Macmillan, 1958.

Lutsky, V. **Modern History of the Arab Countries.** Moscow: Progress Publishers, 1969.

Lewis, Bernard. **The Middle East and the West.** Bloomington: Indiana University, 1964.

Mansfield, Peter. **Nasser's Egypt.** Baltimore: Penguin Books, 1965.

Markmann, Charles Lam (trans.). **Egypt: Military Society: The Army Regime, the Left and Social Change,** by Anouar Abdel-Malek, New York: Random House, 1968.

North, Barbra and Robert (trans.). **Political Parties: Their Organization and Activity in the Modern State,** by Maurice Duverger. London: Methuen, 1967.

Nuseibeh, Hazim Zaki. **The Ideas of Arab Nationalism,** Ithaca, New York: Cornell University Press, 1956.

Rosenthall, E.I.J. **Islam in the Modern National State.** Cambridge: The University Press, 1966.

Safran, Nadar. **Egypt in Search of Political Community.** Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 1961.

Sayegh, Fayez (ed.). **The Dynamics of Neutralism in the Arab World: A Symposium.** San Francisco: Chandler, 1964.

Seale, Patrick. **The Struggle for Syria.** London: Oxford University Press, 1965.

Sharabi, Hisham. **Arab Intellectuals and the West: The Formative Years, 1875-1914.** Baltimore: The Johns Hopkins Press, 1970.

——— **Governments and Politics of the Middle East.** Princeton, New Jersey: D. Van Nostrand, 1963.

——— **Nationalism and Revolution in the Arab World.** Princeton, New Jersey: D. Van Nostrand, 1966.

——— **Palestine and Israel: The Lethal Dilemma.** New York: Pegasus, 1969.

——— **Palestine Guerrillas: Their Credibility and Effectiveness.** Beirut: The Institute of Palestine Studies, 1970.

Sigmund, P.E. (ed.). **The Ideologies of the Developing Nations.** New York: Praeger, 1971.

Suleiman, Michael W. **Political Parties in Lebanon,** Ithaca: Cornell, 1967.

Thompson, J.H. and R.D. Reischaur (ed.). **Modernization of the Arab World.** Princeton: D. Van Nostrand, 1966.

Vatikiotis, E.J. **The Egyptian Army in Politics: Pattern of New Nations?** Bloomington: Indiana University, 1961.

Winder, R. Bayly (trans.). **The Meaning of Disaster,** by Constantine K. Zurayk. Beirut: Khayat's 1956.

Yamak, Labib Zuwiyya **The Syrian Social Nationalist Party.** Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 1966.

Zeine, Zeine N. **The Emergence of Arab Nationalism.** Khayyats, 1966.

2 — DOCUMENTARY COLLECTIONS :

Khalidi, Walid and Yusuf Ibish (eds.). **Arab Political Documents**

1963. Beirut: The American University, n.d.

——— **Arab Political Documents 1964.** Beirut: The American University, n.d.

Miliband, Ralph and John Saville. **The Socialist Registrar 1964.** New York: Monthly Review Press, 1964. pp. 38-67, 104-126.

——— **The Socialist Registrar 1965.** London: The Merlin Press, 1965, pp. 80-126.

Political Studies and Public Administration Dept., A.U.B. **Chronology of Arab Politics.** Vol. I (1963), Vol. II (1964) and Vol. III (1965). Beirut : The American University.

United States Senate: Committee of Foreign Relations. **A Select Chronology and Background Documents to the Middle East,** Washington, 1967.

3 — PERIODICALS

Backdash, Khalid. «For the Successful Struggle for Peace, National Independence, and Democracy We Must Resolutely Turn Towards the Workers and Peasants», **Middle East Journal,** 7 Spring 1953).

Ben-Tzur, Arraham, «Socialism in Egypt», **New Outlook** (June 1958), pp. 326-330.

Buchanan, Keith. «The Third World», **New Left Review,** 18 (January-February 1963).

Bonrgiba, Habib, «Nationalism: Antidote to Communism». **Foreign Affairs,** 35 (July 1957). pp. 643-653.

Carmichael, Joel. «The Nationalist-Communist Symbiosis», **Problems of Communism,** 8 (May-June 1959). pp. 35-41.

Cragg, Kenneth. «The Intellectual Impact of Communism upon Contemporary Islam». **Middle East Journal,** 8 (Spring 1954), pp. 127-138.

Gersh. G. «Nasser's Brand of Socialism». **Christian Century,** 81 (July 29, 1964). pp. 962-965.

Harbi, Mohammed. «The Party and the State». **Revolution Africaine** (November 7, 1964). pp. 12-14.

Halliday, Fred. «Counted-Revolution in the Yemen». **New Left Review** (Sept.-Oct. 1970). pp. 3-25.

Hirst, David. «Arabian Nightmares», **The Guardian** (August 9, 1971).

Hoskins, Halford L. «Arab Socialism in the U.A.R.» **Current History** (Jan. 1963). pp. 8-12.

Hussein, Mahmoud. «Nasserism in Perspective», **Monthly Review** (Nov. 1971), pp. 34-54.

Karabuda, Barbo. «Red Guerrillas of the Arabian Gulf», **Eastern Horizon,** Vol. IX. No. 5, pp. 48-54.

Kelidar, Abbas. «Shifts and Changes in the Arab World», **The World Today** (Dec. 1968), pp. 503-511.

Kerr, Malcolm H. «The Emergence of a Socialist Ideology in Egypt», **Middle East Journal** (Spring 1962), pp. 127-144.

El-Kodsy, Ahmed. «Nationalism and Class Struggle in the Arab World», **Monthly Review** (July-August 1970), pp. 1-61.

Laqueur, Walter Z. «Arab Unity and Soviet Expansion», **Problems of Communism**, 8 (May-June 1959), pp. 42-48.

Lenczowski, George. «The Objects and Methods of Nasserism», **Journal of International Affairs**, XIX, I (1965), pp. 63-76.

Lewis, Bernard. «Communism and Islam», **International Affairs**, 30 (Jan. 1954), pp. 1-12.

Sharabi, Hisham. «The Palestine Revolutionary Struggle», **The Arab World** (May 1971), pp. 7-10.

Torrey, Gordon H. «The Ba'th-Ideology and Practice», **Middle East Journal** (Autumn 1969), pp. 445-470.

Vatikiotis, P.J. «Dilemmas of Political Leadership in the Middle East», **American Political Science Review**, 55 (1961), pp. 103-111.

Wolf, John B. «The Palestinian Resistance Movement», **Current History** (January 1971), pp. 26-31, 49-50.

فهرس

	صفحة
مقدمة	٥
الفارس الذي لم يترجل	٦
الفصل الاول	
لمحة تاريخية	٢١
الفصل الثاني	
ظهور « حركة القوميين العرب »	٤٠
الفصل الثالث	
الثورة المصرية واثرها على « حركة القوميين العرب »	٦٨
الفصل الرابع	
البناء التنظيمي لحركة القوميين العرب	٨٩
الفصل الخامس	
ايديولوجية حركة القوميين العرب	١٠٦
الفصل السادس	
الخلاصة	١١٨
المراجع	١٢٣

قبل أن تشيّع بيروت شهداءها الثلاثة « النجار ، ناصر، وعدوان » ٠ بأيام كانت باريس قد شيعت مناضلا آخر هو باسل الكبيسي ٠

وحين مضى باسل مضى في غمرة أحداث جسام فلـــم يلق ما يستحقه الشهيد ، شأن غالبيــة الشهداء ٠٠٠ ونحن اذ نقدم كتابه اليوم « حركة القوميين العرب » فاننا لا نقدم المرجع الاول والاهم عن حركة ساهمت في تطور تاريخنا فحسب ، بل تقدم باسلا في جانب آخر من نشاطاته ونضالاته ، علنا نوفي ابن الرافدين بعض حقه ٠

الثمن : ٤٥٠ ق. ل. او ما يعادلها